محمد مهدي الجواهري

بريد العودة



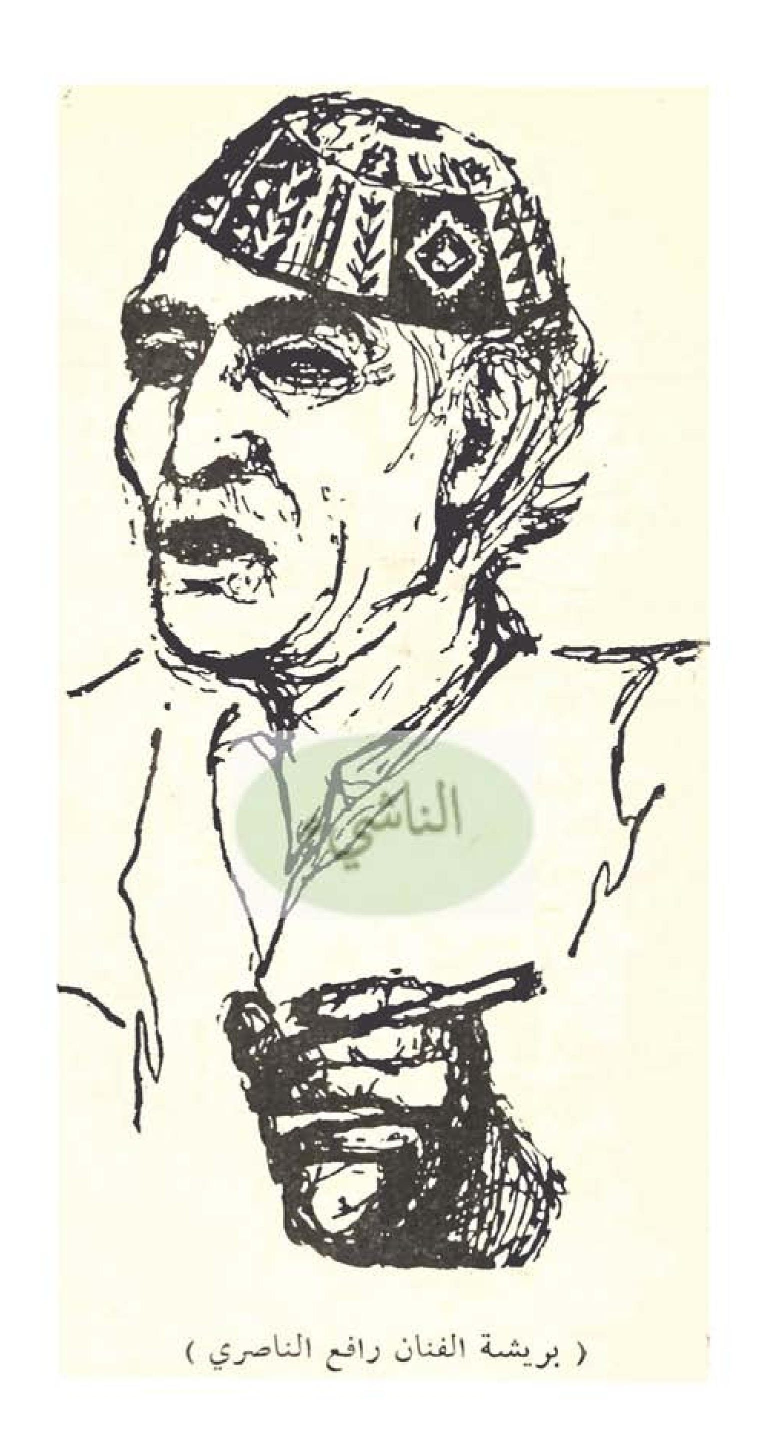

الناشيء

بريدُ العودة ...

محمد مهدي الجواهري

بريد العودة ...

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٩٦٩



(بريشة الفنان رافع الناصري)


الناشيء

فهرست

القصيدة	صفحة
كلمـــة	٩
أرح ركابك ..	١١
الفداء .. والدم	٤١
رسالة مملحة ...	٦٩
يابن الفراتين ...	٩٧
يا دجلة الخير ...	١٣١
براغ	١٧١
بريد الغربة ...	١٨١


الناشيء



لتداعي الافكار ، وتلازمها أثر حاد وفعال فى انجاز كثير من الاعمال التى يكون القائمون بها بعيدين كل البعد عن توقع انجازهـا ، فضـلا عن تحقق هذهالانجازات • وهذا ما حدث لي بالفعل ، وانا أدفع بهذا الديوان الجديد « بريد العودة » الى أسنان المطبعة وأمشاطها •

فمنذ عودتي من « البراغ » المغترب المفضال الذي عشته نيفا وسبعة أعوام ، ومنذ ان استهللت تعاطي القوافي على أديم الوطن من جديد ، كانت قصيدة « الفداء •• والدم » ، أول عطاء شعري •

وقرأت فى اليوم التالي فى احدى الصحف العراقية اقتراحا لصديق أديب يرتأئى فيه أن تلقى هذه القصيدة بصوتي ، وعلى طريقتي فى الالقاء زيادة فى توضيحها ، وفى تقريبها الى الاذهان •

وكان هذا فكرة ، سرعان ما انشدت بها فكره :

لو طبعت القصيدة هذه لوحدها مشكولة ، واضحة الحروف ، وافية الشروح • وكان ان تحدد فى زحمة هذه الافكار موعد الحفل التكريمي الذى أقيم لي فى بغداد فتحددت معه قصيدة جديدة ، هى قصيدة «ارح ركابك••» وبذلك توسع حجم الفكرة ، وحجم « الدويوين » من جديد •

وباشرت بالعمل ، وراجعت « مطبعة المعارف » •

وتحدد موعد تقديم القصيدتين ، وشرحهما ، فاعجلني عن ذلك سفر جديد ، ومرت شهور عدة ، كان من جرائها أن تنضم الى القصيدتين قصيدتان ليصبحا اربعة ، وهما

قصيدة « رسالة مملحة •• من مشارب « سلوفينسكي دوم » الى السيد عماش »

وقصيدة « يابن الفراتين » فى مؤتمر الادباء التاسع

وعندما كنت على بعد العيوق من فكرة اخراج هذه القصائد ، مضافاً اليها قصيدة ، « يا دجلة الخير » ، وقصيدة « براغ » ، وقصيدة بريد الغربة » ، وذلك لخلو ايدي الجمهور العراقي منها اولا ، ولقربها وهى فى « بريد الغربة » •• من « بريد العودة » هذا ، وجدتني محمولا على جناحين من تشجيع قوي ، ومعاونة حميدة من صديقيّ الاديبين « رشيد بكتاش » و « عبدالغني الخليلي » ونازلا على حكمهما مشكورين ، محمودين

وانني اذ اقدر أكثر من أي احد مدى التعب والجهد فى اخراج الشعر، وفى تحمل أمزجة الشعراء ، لاشكر من صميم قلبي الافاضل أصحاب مطبعة المعارف ، والفنان العراقي الموهوب « ضياء العزاوي » ، الذي صمم الغلاف ، والخطاط الفنان « غالب صبري » ، الذي خط عناوين القصائد ، وأشكر معهما كل من رتب حرفا ، وأدار عجلة طبع •• ومن الله حسن التوفيق •

محمد مهدي الجواهري

أرح ركابك...

ألقاها فى الحفل التكريمي الذي أقامته له وزارة الثقافة والاعلام فى « كازينو صدر القناة » ببغداد على أثر عودته الى العراق من منفاه بعد غياب طال أكثر من سبع سنوات •

وقد ساهم فى الحفل على الصعيدين الرسمي ، والشعبي عدد وفير من الخطباء والشعراء ، وقد استهله السيد وزير الثقافة والاعلام ، الاستاذ عبدالله سلوم السامرائي ، كما ألقى فيه الفريق أول الركن صالح مهدي عماش نائب رئيس الوزراء ووزيرالداخلية قصيدة جارى فيها قصيدة السيد الجواهري ، وكان مطلعها :

أرح ركابك من أين ومن عثر　　هيهات مالك بعد اليوم من سفر

وكان ذلك فى مساء الجمعة الثالث من شهر كانون الثاني عام ١٩٦٩ •

أرح ركابك من أينٍ ومن عثر
كفاك جيلانِ محمولاً على خطر(١)

كفاك موحِش دربٍ رُحت تقطعه
كأنَّ مغبره ليلٌ بلا سحر(٢)

ويا أخا الطير في وردٍ وفي صدر
في كلِّ يومٍ له عشٌ على شجر(٣)

---

(١) الاين العجب والاعياء ، والعثر والعثار واحد ، والجيل هو فى الاصل الطبقة من الناس تنشأ بعد الاخرى ، ثم اصطلح على تقديره بخمسة وعشرين عاما ، وكأنما اريد بذلك المدة من العمر تتم بها ملامح الطبقة ، ونضوجها وتهيؤ الطبقة الثانية بعدها للنشوء والتكامل ، والشاعر يريد بالجيلين هنا الخمسين عاما التى سلخها من حياته فى ميادين الشعر والادب ، وفى مجالات الفكر ، وفى غمار السياسة ومجاهل الحياة ومعاناة المجتمع وما تتمخض عنها محلها من أخطار ومتاعب

(٢) المغبر الشديد الغبرة ، والغبار فى الاصل التراب ، ومنه الغبراء للارض ثم استعير على سبيل المجاز لما يكدر صفو الحياة تشبيها له بما يكدر الغبار المثار من صفاء الجو ، ومن هذا القبيل اريد به في هذا البيت من مقارنة مراحل الحياة الشاقة بالدروب الموحشة المغبرة، ثم تشبيه هذه الدروب نفسها بالليالي المظلمة البعيدة الغور

(٣) الورد هو أن ترد مجارى المياه لتشرب منها ، والصدر هو أن تصدر عنها بعد ذلك والشاعر يشبه هنا نفسه بالطير الذى يكثر غشيان مساقط المياه المختلفة ثم يصد عنها والذى يألف أعشاشاً جمَّةً على أشجار عدة

عـريان يحمـــل منقـاراً وأجنحـــةً

أخفُّ ما لم مــن زادٍ أخــو ســفر(٤)

يحسب نفسِك ما تعيا النفوس بـــه

من فـرط منطَلقٍ أو فرط منحَــدر(٥)

اناشـدٌ أنت حتفــاً صـنع منتحـر

أم شابكٌ انت مغتـراً يـدَ القـــدر

أم راكبٌ متنَ نكبـاءٍ مطوِّحـــةٍ

تـرى بديـلاً بهـا عن ناعـم السرُر(٦)

---

(٤) فى هذا البيت يستعير الشاعر شبها آخر بالطير الذي يتخفف فى طيرانه من كل ثقل وكل حمل مكتفيا بمنقاره وجناحيه مما كنى عنه بأنه أخف زاد له لنفسه اخو سفر ، والقصد ظاهر وهو خلـو الشاعر مما يثقل المتنعمين والبطرين من حطام الدنيا

(٥) بحسبك الشيء كفايتك منه وتعيـا تتعب أو تضيق والمراد بفرط الانطلاق وفرط الانحدار هنا هو الاشارة لما تتقاذف به الحياة الناس والشاعر واحد منهم بين الجدد والعثار والصعود والهبوط والنجح والفشل

(٦) النكباء الريح المنحرفة أو المتراوحة بين ريحين الصبا والشمال مثلا وهى من نكب الرجل أو الشيء اذا انحرف أو تباعد عن الطريق، والمطوحة من المطاوح هى ما يطيح بالرجل أو بالشــيء من أهـوال ومقاذف وما يتوه به وهى هنا بخاصة الريح النكباء

خفِّض جناحيك لا تهزأ بعاصفةٍ

طوى لها النسر كشحيه فلم يطر

ألفى له عبرةً في جؤجؤٍ خضبٍ

من غيره ، وجناحٍ منه منكسر(٧)

* * *

يا صورةَ الوطنِ المُهديك معرضُه

أشجى وأبهجَ ما فيه من الصور(٨)

---

(٧) الجؤجؤ الصدر ، وجمعه جآجيء ، والقطعة ابتداء من – ويا أخا الطير – حتى هذا البيت منصبة كلها على تشبيه الشاعر نفسه بالطير في ورده وفي صدره وفي أن له – مثله – في كل يوم عشاً على الشجر وفي حمله أخف ما يلمه من زاد ثم في مناشدة الشاعر نفسه الطائرة أن يكتفي من حياته بما تضيق به حيوات الناس من فرط الانطلاق وفرط الانحدار ثم في مساءلته نفسه بنفسه عما اذا كان يريد بذلك الموت انتحاراً أو انه وقد ركبه الغرور يريد أن يصارع الاقدار فيما يتحدى به الرياح العاتية وأخيرا فهو يطلب اليها أن تخفف من غلوائها كما يخفض الطائر من جناحيه تجاه العواصف الجامحة وان لا تستخف ولا تهزأ بها وقد أطاحت بالنسور أي بما هو أكثر قوة وأشد قدرة عليها منه وان يكون كذلك النسر الذى ركن الى عشه فلم يطر في جو عاصف كانت له فيه عبرة منذرة بالجآجيء المخضبة من نسورقبله ، وبالاجنحة المتكسرة منها٠

(٨) ليس في هذه القطعة من المفردات ما يحتاج الى توضيح وانما فيها صور متلازمة متلاحمة هي بحاجة الى القاء ضوء عليها

ان الشاعر يرى نفسه فيها صورة أصيلة من وطنه العراق بكل

غيومه وانبلاج الشمس والقمر
وقيظَه وانثلاجَ الليل والسحر

ما يخلعه عليها الوطن من مفارقات ومغايرات وتناقضات فى المجتمع ، وفى البيئة ، وفى الوراثة والتاريخ ، تماما كما تنعكس الصورة المرسومة ـ فى اللوحة الاصيلة ـ بكل ظلالها وألوانها وأضوائها المتشابكة ، وانه يحمل فى نفسه ما يحمله الوطن نفسه من ذلك ٠ ثم يفصل الشاعر تلك المفارقات من شجي ومبهج ومن مثير ومطمن ، ومن أمعان فى الحر وفى البرد ، في الغيم وفى الصحو ، فى تأصل روح الحقد فيما يثيره الدم القاني المراق على أديم الوطن من صحوة فى هذه الروح ، ومن غفوة عن الحذر منها

ثم فيما تموت ـ على أديم الوطن ـ وتقبر من عبقريات لا تمتد اليها يد العناية والرعاية ثم فيما يتوالى عليه بين الآونة والاخرى من تضحيات تذهب هدرا من جراء التفريط بها ، والاستهانة بضحاياها ومساومة المساومين المنافقين عليها وانتهاز النفعيين والمتربصين لها

ثم يعود ليقول لنفسه عن نفسه على سبيل التجريد فى المخاطبة انه صورة أمينة للوطن العراقى تنصب ملامحها ومعالمها ، على كل الملامح والمعالم التى تحدرت عبر الاجيال والقرون حتى هذا الجيل الراهن ، والتى تمازج فيها الخير والشر ، والحسن والقبيح ، والثورة والتطامن ، والحب والبغض ، والايثار والانانية والتضحيات وحب السلامة ، وانه ـ ولمحض انه صورة صادقة للوطن العراقى ـ فقد أعطى كنزا غريبا فى تناقضات ما يحتويه ، وغرائب ما ينطوي عليه وهو لهذا السبب يجب أن يكون رقيبا على هذا الكنز حتى الممات أو أن يمحصه ، وان يغربله ، وان يحاول جاهدا التخلص عن نقائصه ، وان يطير فرارا منها ان استطاع ، قدر ما انه ملزم ليس بالانطواء على محاسنه حسب بل وبالزيادة فيها ، وهو الى هذا أو

وما يثير الدم الغافي بتربته

من صحوة الحقد ، أو من غفوة الحذر

والعبقريات لم تُنهَض ولم تُثر

والتضحيات توالى عن دمٍ هدر

والناذرين نفوساً كلها ثمرٌ

والناهزين لما يُجنى من الثمر

والزندقات وايمانَ التقاة وما

أجلت مذاهبُه عن زحمة الفكر

يا صورة الوطن انصبَّت معالمُها

على معالمِ ما أبقت يدُ العصر

تلاحم الضوءُ فى عطرٍ وفى نغمٍ

منها أصيلٍ ، فلم تُنسخ ولم تُعر

ذاك ـ وعلى أى حال كان فيجب أن يكون فخورا بما خالط عظمه ودمه من خصائص التاريخ العربي ، وبخاصة فما كان منها فى تربة الوطن العراقى ، وشبه هذه الخصائص الصاعدة منها بالغرر ـ جمع غرة ـ فى الخيول الاصيلة ، وبالحجول ـ جمع حجل وهو موضع القيد من رجل الفرس وهما البياض يكون فى الجبهة ، وفى الارجل والأيدي من الأفراس أو فى بعضهما دون بعض

أُعطيت أنفس كنزٍ من نقائضها

فكن رقيباً عليها غايةَ العمر

طِر ما استطعت مطاراً عن نقائصها

وعن مرافعها الجُلى فزد وطر

وكن فخوراً بما أُعطيت من دمه

على الحجولِ ، وفي الأوضاح والغُرر

فان تحدّاك من عليائه ملَكٌ

يزهو عليك ، فقل انّي من البشر

* * *

يا سامر الحي بي شوقٌ يرمّضني

الى اللِدات ، الى النجوى ، الى السمر(٩)

يا سامر الحي بي داءٌ من الضجر

عاصاه حتى رنينُ الكأسِ والوتر

---

(٩) يرمضني أى يحرقنى ، وأصله من « الرمض » وهو شدة الحرارة ، ومنه الرمضاء وهي الارض الملتهبة لشدة حرارتها و « اللدات » جمع « لدة » الخدن والترب

لا أدعي سهر العشاق يشبعهم
يا سامر الحي بي جوعٌ الى السهر
يا سامر الحي حتى الهمُّ من دأبٍ
عليه آب الى ضربٍ من الخدر
خلاف ما ابتدعت للخمرِ من صور
وجدتها زاد عجلان ومنتظر
كأنَّ في الحبب المرتجّ مفترَقاً
من الطريق على ساهٍ ومدّكر
يا سامر الحي إنَّ الدهرَ ذو عجب
أعيت مذاهبُه الجُلّى على الفكر
كأنّ نُعماءه حبلى بأبؤسه
من ساعة الصفو تأتي ساعة الكدر
تندسُّ في النشوات الحُمسِ عائذةً
هذي فتُدركها الاخرى على الأثر(١٠)

(١٠) الحمس من حمس ومن « الحماسة » وهي القوة والشجاعة ، وتأتي بمعنى شدة الهيجان والفوران والبيت مرتبط بسابقه ومعناهما أن نعمى الزمان وبؤساه تتوالد فيما بينهما وتتواصل حتى لكأن

ينغّص العيشَ انّ الموت يدركه

فنحن من ذين بين الناب والظفر

والعمر كالليل نحييه مغالطةً

يشكى من الطول أو يشكى من القصر

* * *

ويا صحابى وللفصحى حلاوتها

لا تنكروا ناقلاً تمراً الى هجر(١١)

نعماءه حبلى بأبؤسه وحتى لكأن ساعة الصفو تلد ساعة الكدر والحقيقة هى أن العكس صحيح أيضا ولكن الشاعر مثل بصورة واحدة منهما لانها تطابق الواقع المرير الذى يتحدث عنه وكما هو بيِّن فالقطعة حتى البيت

والعمر كالليل نحييه مغالطة

يشكى من الطول أو يشكى من القصر

انما تصور حدة القلق الذى استحوذ على الشاعر وهو في غربته ، وشدة الشوق الذى كان يعتصر نفسه الى « لداته » واترابه ، ورفاق صباه واخوانه فى سوح الكفاح ، وفى ميادين الحرف والكلمة ، وفى مجالات الفكر والشعر والادب وان به شوقا يحرقه الى سمرهم والى نجواهم وجوعا الى السهر واحياء الليالي معهم ثم انه ليشتد فى هذا التصور الى حد القول ان الهم والقلق نفسيهما أصبحا ضربا من الخدر لكثرة الاعتياد عليهما ٠ وتكرر الالفة واياهما٠

(١١) هجر بلدة فى اليمن يكثر فيها النخل واسم لبلاد البحرين أيضا ومنها المثل العربي القديم كناقل التمر ـ أو « كمبضع التمر » الى

أنّى ثوى ذو طماحٍ فهو مغتربٌ

في دارة الشمس ، أو في هالة القمر

سبع توهّمتها سبعينَ لا كدراً

لكن لحاجتها القصوى الى الكدر(١٢)

ناشدتكم بعيون الشعرِ لا رمداً

شكت ، ولم تكتحل يوما سوى الحورِ(١٣)

هجر وفى الشطر الاول من البيت تمهيد جميل للشطر الثاني وذلك بجملة ـ وللفصحى حلاوتها ـ فالشاعر اذ يريد أن يعتذر للمحتفين به وجلهم من جمهرة الادباء والشعراء فيما يتلو عليهم من شعره ، واذ هو يشبه ذلك بناقل التمر الى هجر لا يفوته أن يذكرهم بأن « للفصحى » بدورها حلاوة تبرر هذا التشبيه

(١٢) معنى البيت ان النفوس الكبيرة ذوات المطامح البعيدة والآفاق الواسعة تحمل غربتها معها فى مطاوى نفوسها أينما كانت حتى وان كانت مواطن الاغتراب هذه تشبه دارات الشموس فى سعتها وامتدادها وهالات الاقمار فى جمالها ولطفها

لهذا البيت صلة مباشرة بالبيت السابق ـ قدر اتصاله بما يتلوه من أبيات ـ فهو يشير الى ان الشاعر كان يتوهم الاعوام السبعة التى قضاها خارج وطنه وكأنها سبعون عاما فى طولها عليه حبا منه فى مشاركته جماهير الشعب آلامهم وآمالهم وان ذلك كان منه لا لانه كان يشكو كدرا وانزعاجا ولكن حبا بالكدر والانزعاج ما داما قاسما مشتركا بينه وبين المواطنين

(١٣) فى هذا البيت يناشد الشاعر أصحابه ومستمعيه ويحلفهم بعيون الشعر وهى مختاراته وحسانه تشبيها لها بالعين أعز ما فى جسد

هل عندكم خبرٌ عن قربِ ملتحـــمٍ

أو وشـكِ معتركٍ أو قربِ مشتجـر

فـذاك والله عنـدي أصـدقُ الخبـــر

انّي أقـايض فيـه النفـعَ بالضـرر

كم أرصـد المـوتَ أدري أنه رصـدٌ

ان كان في المـوت من فخرٍ لمفتخـر

سبحـان ربّك ربّ المرءِ يخلقــــه

صلصالةً وهو من نـارٍ ومن شـرر(١٤)

الانسان وأكثرها نفعا ثم انه ليخلع عليها بالفعل أحسن صفات العين وهى صحتها وسلامتها وخلوها من «الرمد» ثم جمالها واتصافها بالحور ، تعبيرا عن لطافة هذه الاشعار ٠ وقوتها وأهميتها

وفى البيتين التاليين جواب « التحليف » والمناشدة ، وهما والبيت السابق استمرار لابانة الشاعر عن حبه وولعه لمجـالات الـكفاح وميادين النضال المشترك ، وانه « يقايض » ويبادل النفع وهـــو السلامة والخلاص بالضرر وهو تحمل المكاره والشدائد

و « المشتجر » هو فى الاصل حيث يلتف الشجر ، وتتكاثف الادواح، ثم استعير للمعارك والملاحم حيث تتشابك الرماح كما يتشابك الشجر بعضه مع البعض الآخر

(١٤) الصلصالة من الصلصال وهو الطين الحر فاذا شوى فهـــو الفخار فـاذا طبخ فهـو الخزف وفى البيت اشارة وتعجب وتشكيك فهو يشـير الى خلق الانســان من تراب ، ويتعجب من

أذنبُـــه أنّــه لــو قِيــدَ محتفظـــاً

الى النعيمِ تخطّـــاه الى ســقرٍ ؟(١٥)

* * *

ويــا مــلاعــب أتــرابــي بمنعَطفٍ

من الفرات ، الى كــوفانَ فالجـــزر(١٦)

أن يكون هناك من الناس من يبدو بحكم عنف مزاجه ، وقوة شكيمته، وثورة دمه وكأنه خلق من نار ومن شرر ويشكك فى أى من هذين الخلقين شاء الخالق هذا النوع من الناس وفى البيت كذلك تلميح خفي للآية القرآنية على لسان الشيطـان وهو يعـدّ من الملائكة مستصغرا شأن « آدم » خلقتني من نار ، وخلقته من طين

(١٥) البيت اتمام للسابق وتعقيب عليــه وهــو تبرئة لتلك النفوس الثائرة التى تبدو وكأنها تفضل النار والجحيم ، على الجنة والنعيــم فيما تحمل به نفسها طوعا وارتغابا على صعاب الامور ومخاطــر الحياة

(١٦) هذه القطعة حتى البيت

اقتادهن الى حرب على الضجر فيصطلحن على حربي مع الضجر

استعراض وابتعاث لذكريات الشاعر فى طفولته وفى صباه وفى يفاعه فى مدارج «النجف» و «الحيرة» ومنعطفات الفرات وجزره وفى رملة « الكوفة » وملاعبها وتذكر للصور الشاخصة منها والباهتة على حد سواء ففيها خفق أشرعة السفن الراسية على ضفاف الفرات حيث كانت الأسر النجفية ـ ومنها اسرة الشاعر تنتقل الى « الجسر » وهيالمدينة الجميلة الرابضة علىشواطىء الفرات٠والمسماة بهذا الاسم التاريخي الذى لمح ذكره على أثر المعركة الكبرى الحاسمة بين العرب

فالجسرُ عن جانبيه خفْق أشرعةٍ
رفّافةٍ في أعالي الجو كالطرر

والفرس وهي معركة القادسية التي قطع فيها بسبب قطع «الجسر» هذا ـ خط الرجعة على جيوش الفرس المنهزمة وهي بصدد نجاتها الى الجانب الشرقي، جانب المدائن وما يتلوها وفيها من الصور أيضاً مساحب الخورنق ومجر ذيوله ، حيث يقوم الآن عليها بامتداد طويل ما يسمى بـ « الشواطىء » وابن ماء السماء هو النعمان ملك الحيرة وسواد العراق ، وكل الملوك « المناذرة » هم بنو ماء السماء نسبة الى امهم التى أطلق عليها هذا الوصف لفرط جمالها

وفيها تعريج على شقائق النعمان التى ما تزال حتى اليوم تنتشر بكثرة فى وديان الحيرة ومساحبها منسوبة الى النعمان نفسه لفرط حبه اياها ولانه ـ فيما أجمع عليه المؤرخون ـ جاء الى موضع فى «الحيرة» وقد اعتم نبته من أصفر ، وأحمر وفيه من الشقائق ما راقه فقال ما أحسن هذه الشقائق احموها وكان أول من حماها وفيها أيضا انتشاق لعبير الرملة الدمثاء اللينة على ضوء من القمر وعلى امتداد السهل المرمل الفياح بين النجف ، والكوفة ، والجسر ، والمدارج السمحاء بين السوح وبين الحجر فى أفنية الكوفة ومسجدها ، والسهلة ومسجدها، وحتى مستدق الحصى ورضاضه فى هذه المداحات والساحات ، وحتى مناخة النوق ، على وادي الغري حيث ينيخها جماعات البدو من «نجد» مدة تموّنهم من أسواق النجف وبيوتها وحيث كان الشاعر وهو صبيٌ بعد شغفٌ أن يصعد أسنمة النوق المنيخة ، وان ينهضها من مناختها ، وان يخاطر باثارتها للنهوض به على غير رغبة منها والمراد بالذكوات التلال الصغيرة شبهها بالجمرة الملتهبة لضيائها وتوقدها عند شروق الشمس عليها و «نجف» وهى هنا صفة عن « علم » كل مكان مستطيل وفى بطن واد لا يعلوه الماء أو كل أرض مستديرة مشرفة على ما حولها وكل ذلك ينطبق على أرض النجف

الى « الخورنقِ » باقٍ في مساحبه

من ابن ماء السما ما جر من ازر

تلكم (شقائقه) لم تأل ناشرةً

نوافج المسك فضّتها يد المطر

بيضاء ، حمراء أسراباً يموج بها

ريشُ الطواويس • أو موشيّةُ الحِبر

للآن يطرب سمعي في شواطئه

صدحُ الحمام ، وثغي الشاء والبقر

والرملةُ الدمثُ في ضوءٍ من القمر

والمدرجُ السمح بين السُوحِ والحُجر

ومستدقُّ الحصى منها وما جمعت

مناخةُ النوقِ من بدوٍ ومن حضر

تعالت الذكواتُ البِيضُ عن نجفٍ

عالٍ ، كما ازدهت الألواح بالاطر

ومعالمها وواقعها ، واشتفت امتصت والوابل الوسمي الغزير من أوائل مطر الربيع سمي بذلك لانه يسم الارض وينعشها من جديد ، والطفوف الجانب من الارض ، والشاطىء والمنحدر منها ، وهو أيضا ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق

واشتفَّت الوابلَ الوسميَّ وانحدرت
الى الطفوف بسيلٍ منه منحدر
مستشرفاتٍ صبا نجدٍ يُبلُّ بها
غليلُ رملٍ بوقد الشمس مستعر
ما أهنأ الساعِ في دنياي أجمعها
اذا عددتُ الهنيء الحلوَ من عمري
تصو بي من علٍ حتى اذا انحدرت
بي الحتوفُ لذاك الرمل فانحدري
تُمحى الغضاراتُ في الدنيا سوى شفقٍ
من الطفولة ـ عذبٍ مثلِها ـ غضرِ
وتُستطار طيوفُ الذكريات سوى
طيفٍ من المهد ـ حتى اللحد ـ مدَّكر
في « جنَّة الخلد » طافت بي على الكبر
رؤيا شبابٍ ، وأحلامٍ من الصغر(١٧)

---

(١٧) فى هذه الابيات الاربعة من نهاية القطعة تصوير دقيق لمختلف الاحاسيس والمشاعر والذكريات التي كانت تعتمل فى نفس الشاعر وهو فى مغتربه بـ (براغ) وقد سماها « جنة الخلد » والتي كانت

مجنَّحـــات أحــاسـيسٍ وأخيلـــةٍ

مثل الفراشات في حقل الصِبا النضِر

أصطـادهنَّ بزعمي وهي لي شـركٌ

يصطادني بالسنـا واللطـفِ والخفـر

اقتــادهــنّ الى حــربٍ على الضجـر

فيصطلحنَ على حربي مـع الضجـــر

* * *

وأنــت يـا مـارداً يَلقـى بهـامتـــه

هوج الرياح ، ورجلاه لظى سـقـر(١٨)

تثير فيه وقد بلغ الكبر أطياف ذكريات طفولته ، ورؤى صباه وأحلام شبابه وان هذه الاحاسيس والاخيلة كانت ملونة مجنحة فى حقل الذكريات كما تلون الفراشات المجنحة فى الحقول النضرة .

ثم يستطرد فيقول انه كان يغالط نفسه عندما يخيل اليه انه هو الذى يصطاد هذه الفراشات ـ هذه الاخيلة والاحاسيس اذ يثيرها ويبتعثها بينا هى ـ فى الحقيقة ـ التى تصطاده بما تثير فيه من قلقٍ وألمٍ وحنين

وكذلك الامر فيما يتصوره من أنه يجهّز هذه الذكريات ويقتادها الى حربه مع الضجر والوحشة والغربة فاذا بها تصطلح معها ، وتلتئم واياها وتنسجم معها فيما تجدده فى نفس الشاعر من غصـة ، وفيما تعيد اليه من أصداء الماضي البعيد الحبيب

(١٨) هذه القطعة حتى البيت

يا ساحرَ النفس كالشيطان يا وطناً
يُهوى ويصفى على الويلاتِ والغِيرِ

ويا حفيظاً على الزلاّت يرصدها
وبالذي يتجنّى جدَّ مغتفرِ

ما إن تزال على ما ذقتُ من غصصٍ
لديك من صُلب حاجاتي ومن وطري

حملت همك في جنبيَّ أصهره
في لاعجٍ بوقيد الشوق منصهرِ

تبنت الدم من روحي ومن بدني
واستلت الضوء من ليلي ومن قمرى

خطاب الى الوطن ومناغاة له وقد شبهه بالمارد العملاق الذى يدفع العواصف والزوابع بهامته فى حين تستقر رجلاه على لظى سقر كناية عما يتحمله الوطن وما يتصدى له من عوادى الزمن وتقلبات الايام وتعاقب المحن ويقول عنه انه ساحر يجذب النفس ويستهويها حتى انها تتسمر عليه وتنشد به هوى وحبا حتى وهو يجر عليها الويلات « والغير » والمصائب وانه يحفظ زلات «ابنه» المواطن ويحصيها اذ هو مغفور مسامح فى كل ما يتجنى والابيات التالية حتى نهاية القطعة استمرار لهذه الفكرة. وتوضيح لمدى تعلق الشاعر بوطنه بالرغم من كل ما تحمله فيه من ألم وضنك، وتغرب وانه يعود اليه الآن وقد قربت مسافة العمر من نهايتها وانه يسير فيه على تلك الدروب نفسها التى ما تزال دماء جراحه المنسابة عليها تنيرها وتبين أثرها

وكنتَ نوري في ليلى وغربتِه

حتى كأن النجوم الزرق لم تُنرِ

عَودٌ اليك على بدءٍ وقد قربت

مسافةُ البدء من عود الى الحفر

عودٌ اليك بأقدام موطأةٍ

على دروبٍ جراحي فوقها أثري

تبنّتِ الدم من روحي ومن بدني

واستلت الضوءَ من ليلي ومن قمري

* * *

يا دجلةَ الخير ما هانت مطامحنا

كما وهِمنا ، ولم نُصدقك في الخبر(١٩)

---

(١٩) فى هذه القطعة موردان المورد الاول مناجاة « لدجلة » بعد العودة من الغربة واستعادة لمناجاتها ومناغاتها عندما كان الشاعر فى منفاه وغربته وذلك فى معرض الاشارة الى أبيات عديدة من قصيدة « يا دجلة الخير » الشهيرة

وفى هذا المورد حتى البيت

ولا ابتعثت لنا الاطياف عاوية

مثل الذئاب ولم تفزع الى جدر

هـا قـد أقلنـا عـلى سفحيكِ يؤنسنا
لـوذ الحمـائمِ بين الطـين والنهـر

تصوير للعودة وكأنها أمر غير متوقع وحلم لن يتحقـق ففي البيت الاول منها اشارة الى قوله في يا دجلة الخير

يا دجلة الخـير قد هانت مطامحنـا
حتى لأدنى طمـاح غـير مضمـون
أتضمنـين مقيـلا لي سـواسـيـةً
بين الحشائش أو بين الرياحـين

وتلخيص الاشارة هو انه كان فى الغربة يتمنى ان يضمن له مطمح هين زهيد هو أن يكون له مقيل على دجلة وان كان بين الحشائش الرفرافة عليها أما الآن وبعد العودة فانه ليعتذر عن ذلك بعد ان آوته دجلة من جديد باعتزاز وتكريم

وفى البيت الثاني اشارة الى قوله من تلك القصيدة

حييت سفحك ظمآنا الوذ به لوذ الحمائم بين الماء والطين

والابيات التالية منهذا المورد الأولحتىآخره تعبير عن تلاعب الحياة بأبنائها وترامها بهم وكأنهم «الاكر» المدحوة وسحقهم بينأسنانالرحى الدائرة بالبشائر آنا وبالنذر آنا

وفى الابيات الثلاثة الاخيرة من هذا المورد اشارة الى قوله فى « يا دجلة الخير » وهو يصور الكوابيس الخانقة فى أطيافه الطائفـة بـه فى المنام من السنة الاولى من تغربه

لو تعلمين بأطيافي ووحشتها ووددت مثلي لو ان النـوم يجفوني
أجس يقظان أطرافي اعالجها ممـا تحـرقت من نـومي باتون
واستريح الى «كوب» يطمئنني ان ليس ما فيـه من ماء بغسلين
وألمس الجدر الدكناء تخبرني ان لست فى مهمهٍ بالغيل مسكون

وفى موضع آخر من هـذا الديوان ما يوضح هـذا المورد من

وعانقتنا حسانُ « النخل » واصطفقت

جدائلُ السعف المُزهـاة لا الشـعـر

قصيدة يا دجلة الخير في خلال شرحها

ـ اما المورد الثاني من هذه القطعة فهو تنديد بالزمر التى تعاقبت على السلطة وعلى الحكم ابتداء من أوائل عام ١٩٦١ حتى أواسط عام ١٩٦٨ أي أكثر من سبعة أعوام وهي السنون التي قضي على السيد الجواهري أن يحياها بعيداً عن وطنه بالرغم من تبدل أحوال ومن تجدد رؤساء وزارات ، ورؤساء جمهوريات ، وتلويح بان الكف التى عصرته عصرت آخرين معه ، ولكن مدت اليها كف أقوى منها فعصرتها ولوت معصميها ثم أعادته وآخرين معه الى أوطانهم ويريد بذلك ثورة ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ والتى قام بها حزب البعث وتسلم اثر نجاحه فيها الحكم

وفى هذا المورد يقول الشاعر ان هؤلاء المسلطين بالقوة على الشعب العراقي كانوا قد قذفوا به وبرهط كبير معه من أحرار العراق قذف الحصاة وان تلك الطغمة كانت وهى تحكم وتتصرف كما تشاء وبما يأباه الشعب العراقي انما تستمد القوة فى مد طغيانها من « جزر » قوة الجماهير وهى لهـذا السبب نفسـه تنحسر وتزول ـ وقد زالت فعلا ـ عندما ازدادت قوة الجماهير وتنامى وعيها وأشتد « مـدها »

وفى الابيات التالية من هـذا المـورد تعريض بمصـائر هؤلاء الحاكمين السادرين وتشردهم هم الآخرين بارادة من الشعب العراقي ثم تذكير لهم بخورهم وتهافتهم وهم يواجهون مصائرهم وبصلابة الشاعر وصموده وشموخه وهو يواجه الاعوام السبعة من غربته وتشرده

ويخرج من ذلك الى أن « مصائبهم ليست بكفو لأفراحه » أي أن البون الشاسع بين مصيرهم السيء الذى أحاق بهم لا يعادل فرحته هو وأفراح الشعب العراقي بعودته فهو لذلك فى موكب نصر رائع ومثل هذا الموكب يأبى أن يقترن بالشماتة لانه أجل منها

وأثلج النفس من ولهان مستعرِ

وجداً، سقيطَ الندى من ريقك الخصِر

يا دجلة الخير ـ والأيّامُ تسحقنا

بين البشائرِ نرجوهنّ والنذر

نخادع النفس بينا نحن في يدها

وبين أرجلها مدحوّةُ الأُكر

تُمازج الخير في شرٍ مموّهةً

ما كان منتظَراً في غير منتظَر

كان الذي لم نخله كائنا أبداً

حتى كأنّ مصيراً حُمّ لم يصر

حتى كأنّا مع الأطيار لم نطِر

الى رباكِ ، وطيفاً منك لم يسر

ولا حلمنا بنارٍ منك تُحرقنا

في شاهقٍ بنديف الثلج معتمِر

ولا ابتعثت لنا الأطياف عاويةً

مثل الذئابِ ، ولم نفزع الى جدر

يا « دجلة الخير » إنَّ النعمةَ اندثرت

جنباً الى جنب عهدٍ فات مندثر

يا «دجلة الخير» إنّا بعضُ من عصرت

كفٌّ لوى مِعصميها أي معتصر

قذفَ الحصاة رمتنا عنك جائحةٌ

نقيض جريكِ في مدٍّ وفي جَزر

تُلوى وتُحسر إذ تطغَين مدّتُها

وتستقيم بموجٍ منكِ منحسِر

عفنا لها ناطحاتِ الجوِّ فارعةً

ونازعتنا على ضحيانَ مؤتجَر

أغرت بي السبعةَ الأعوامَ تحسبها

هوج العواصف تُستعدى على الشجر

لم تدر أنّ جذوري غيرُ خائسةٍ

كالجذر منها ، ولا عُودي بذي خَور

وشرّدتني كأن لم يجرِ منقلَبٌ

بالناس والفلكَ الدوّارَ لم يَدُر

ليست بكفوٍ لافراحي مصائبهم
يأبى الشماتةَ كفواً موكب الظفر

يا جازعينَ بأن غامت سماؤهم
وما يزالون في فَينانَ مزدهرِ

رأيتموا كيف هان الصبرُ عندكم
وكيف كان على اللأْواء مصطَبري

وكيف زُرت على الايمان مدرعتي
وكيف تاه على ديباجكم وبري

يا « دجلةَ الخير » نحنُ الممتلين غنىً
بنا انعطافٌ على ملآن مفتقرِ

واللهِ لو أُوهبُ الدنيا بأجمعها
ما بعتُ عزّي بذلِّ المترَفِ البطِرِ

قالوا يظنُّون بي شيئاً من الصِغَر
فقلت فيهم وبي شيءٌ من الصَعَر

رثيت للعقرب اللدغى جبلّتُها
لفرط ما حُمّلت سُمّاً على الأبر

لـــولا مغبّــة مـا تجنـــى ذنابتهـــا

لقلت رفقـاً بهـذا الزاحفِ **القـذر**

* * *

ويا سقاةَ الندى مـن كـل منسجمٍ

والأرَيحيـاتِ ، معسولِ النثا عطِـرِ **(٢٠)**

يـا صفـوة البلـدِ الزاهي بصفوتـه

ويـا أسـاريـرَ وعـيٍ فيـه **منتشِـرِ**

ضممتـم المجـد من أطرافـــه زُمـراً

تضفي عليَّ سـناهـا صفوةُ **الزمـــر**

---

(٢٠) فى هذه القطعة حتى البيت الاخير منها

وقد يضيق بشكر المفضلين فم حتى يغطي عليه عذر معتـــذر

تنويه بفضل المقيمين حفل التكريم هذا والمساهمين فيه ، **وبلطف** الآدباء والكتاب والشعراء الذين شاركوا فيه كل **منهم بدوره • وبما** سمحت به عواطفه الكريمة

وفيه ، وهو يشبه الكلمات الخيرة والحروف النيرة **من الكلمات** والقصائد بالخمر المعتقة تدور بها الكؤوس الشفافة ، **اعتذار عن عدم** بلوغه ــ الشاعر ــ شأوهم ، وعن عجزالكأس التى يدير **بها حروفه من** أن تلحق بكؤوسهم المترعة ، المزدخرة أو أن يتساوى **ما بها من وشل** وما فى كؤوسهم من ملاء ، وغنى حتى الحافات •

من كلِّ لونٍ كريمٍ مشرق خضلٍ

كما تلون حسناً باقةُ الزهر

معتّقين سلافَ الحرف ناضجةً

نُضجَ ابنة الكَرْمِ فيه ابنةُ الغرر

عذراً لأكؤسكم كأسي بها وشلٌ

خجلانُ من مترع الحافات مزدخرِ

ما كنتُ بالعيِّ لجلاجاً بمجتمعٍ

ولا بهيابةٍ في منطق حصِر

ولم يدع لي كرُّ الدهر من وطرٍ

ولا المحاذير قد مارستُ من حذر

لكن وجدتُ جميل الصنع مبتكَراً

ما إن يُوفّى بقولٍ غير مبتكر

وقد يضيق بشكر المفضلينَ فمٌ

حتى يُغطي عليه عذر معتذر

* * *

ويا قوى الخيرِ كوني خيرَ صاريةٍ
يُوقى الغريقُ بهـا دوامةَ الخطــر(٢١)

نجوى خليصٍ هوىً ما انفك بينكـم
خمســين عامـاً مَلاء السمـع والبصر

لـم يمشِ يومـاً الى تجرٍ بمعتـرك
ولا تـدرّب في حـانـوت متّجـِـــر

لــكن بصدر لنزف الجُــرح محتمـلٍ
وصُلب متنٍ لحمـل الغـرم مدّخَـر

---

(٢) فى هذه القطعة الاخيرة من القصيدة حتى بيت الختام
وبالضحايا تلوب الحشرجات بها أن يفتدى دمها خمـرا لمعتصر
اثارة لقوى الخير وطلائع النضـــال فى العـراق أن تلـم **صفوفها** ، وترصها وأن تكون بمثابة الصواري التى تحفظ للسفن **توازنهـا** ، وتقي من دوامة الخطر ومن الغرق فيها • وإهابة بها **أن تعمل على تلاحم** قواها ليكون منها منطلق لاستئصال قوى الشر ، والتدمير ، **ولطمر** البؤر السوداء ، وأوكار التجمعات الرجعية وزوايا الخيانة **والعمالة** •

وانها ـ قوى الخير هذه ـ لها من تجـاربها فى **« النضـــال »** وخبرها وعبرها فى شتى سوح المقارعة والمعاناة **والالتحام ما يؤهلها** بجدارة وثقة أيضا أن تكون الظافرة المنتصرة •

ويختتم ذلك بتذكير هذه القوى الخيرة انه **من دواعي الاسف** والالم ان يميل بهم الاختلاف على الصور والاساليب **عن تناسي روعة** المحتوى والمضمون فيما يتعلق بالعمل السياسي

ويحذرهم أن تذهب كل دماء الضحايا الفوارة طيلة سنين وسنين هدرا أو ان يفتدى دمها خمرا لمعتصر **أي أن يكون سوقا للتساوم** والتعامل

عقدٌ من التضحيـات الغـر منتظَـمٍ
جُـرم المفـرِّط فيـه غـيرُ مغتفَـر
لمّي صفوفَـك يشمخْ في تلاحمهـا
مجـدٌ يضاف الى أمجـادك الأُخَـر
واستـأصلي البؤرَ السـوداء ، واقتلعي
منها الجذور ، ولا تُبقي ولا تذري
أخـزى وأقذر مـن مستعمـر عُصبٌ
راحـت غطـاء عـلى مستعمرٍ قـــذر
تكـاد تعطيـه مـن أضلاعهـا نفسـا
بـه تمـدّد مـن أنفـاس محتضَـــر
وشـبـهُ منتهـــزٍ أيتـــامُ نعمتـــه
ومثـــل مؤتمِـــرٍ أفـراخ مؤتمِـــر
ويـا براعـم مجـــدٍ في كمـائمهـــا
مـدّي جباهَك نحو النور وازدهري
تعاطفي كخيـوطِ الفجـــر وانبلجـي
في جنـح ليلٍ بعيـد الغـور معتكِـر

انّ الدياجرَ لا تَنْجلي غياهبُها

الاّ اذا التم شملَ الأنجم الزهر

ويا جموعاً يهاب الموتُ زحفتها

سُدّي الطريقَ على الردّات واختصري

أنتم ركائز حقٍ بعدما ذهبت

درج الرياح أطانيبٌ من الشعَر

ونخبةُ القوم يستهدي بأوجُهها

شعبٌ تخبط في عمروٍ وفي عُمر

تشاجري والبلايا السودَ تنتصري

فقد تعاطيت منها كلَّ مُشتجَر

وقد تمرّستِ حتى كلُّ نازلةٍ

لها واياكِ ميعادٌ على قدَر

كفرٌ بسفر نضالٍ أن يميل به

عن روعة المحتوى خلفٌ على الصور

وبالضحايا تلوب الحشرجاتُ بها

أن يغتدى دمُها خمراً لمعتصر

الفداء .. والدم

القيت في الحفل الذي أقامته المنظمات الفدائية ببغداد احياء لذكرى الشهيد العربي الفدائي « صبحي ياسين » في « قاعة الشعب » ٠ وذلك في خريف عام ١٩٦٨ ٠ وقد نشرت القصيدة لاول مرة في جريدة « النور » البغدادية ونقلتها عنها صحف ومجلات عربية عدة ٠

جلَّ الفـداءُ وجلَّ الخُلدُ صاحبـه
ضاق الفضاءُ ومـا ضاقت مـذاهبـه
لـونٌ من الخَلقِ والابداع يُحسنه
خلـقٌ تصـاغ جـديداتٌ رغائبـه
وذروةٌ من سماحٍ لا كَفـاءَ لهـا
الا مَطامحُ مـن عـزَّت مَطالبـه(١)
في الفـدي من جبروتِ الليلِ رهبتُـه
وعنـده مـن ضحـايـاه كـواكبـه
يتلوه رأدُ الضحى شِـفعاً وتقدُمـه
من روعـةِ الفجـر زحّافاً مَواكبـه(٢)
جـلَّ الفـداء وان ضجَّت مـآتمـه
عـلى الشـهيـد وان رنت نـوادبـه

---

(١) لا كفاء لها لا نظير لها

(٢) رأد الضحى ارتفاعه واشتداده ويتلوه رأد الضحى شفعا أى يجى بعده ملازمة كما يجيء الشفع بعد الوتر ، أى الثاني بعد الاول .

إنَّ الزمازمَ في الدنيا لمصرعه

صدى الزمازمِ صبّتها كتائبه(٣)

جل الفداء فما ينفك مأربةً

لكل مستبسلٍ أعيت مآربه

وبورك الدربُ مسحوراً يتيه به

نكسٌ ، ويحتضن الصنديدَ لاحبه(٤)

درب الخلودِ بليلاتٌ لوافحُه

على الفُداةِ وجناتٌ سباسبه(٥)

حوى النضالَ فسيحاً ما به غلَقٌ

ولا بمائعةٍ رخواً رحائبه

---

(٣) الزمازم جمع زمزمة وهى صوت الرعد فى أقوى ما يكون عليه ، وهو أيضا صوت الأسد ومعنى البيت أن ضجيج الحزن والتأثر لمصارع الشهداء من الفدائيين ، انما هوصدى ورجع" وشبيه بالضجيج الذى تحدثها كتائب جيوشهم وهى تنصب على أعدائهم

(٤) النكس وجمعه أنكاس هو اللئيم المقصر عن ادراك غاية النبل والكرم، والصنديد الشجاع المقدام واللاحب الواسع الرحب من الدروب ،

(٥) السباسب ومفردها سبسب ، المفازات البعيدة الشاسعة الواسعة •

علـى حـَفافيـه من شـعـبٍ مصـائـره

وبـيـن جنبيـه مـن أمـرٍ عـواقبـه(٦)

مـن عهـد آدم والدنيـا تلـوذ بـه

تُعـلى مـرافههـا الجلَّى متـاعبـه(٧)

يمشي الكميُ علـى اِثر الكميٍ بـه

للخلـد سِيـانَ ناجيـه وعـاطبـه

ويستجدُ البنـاةُ الصيدُ تُلهمهـم

غـرائـبَ الفكـر خـلاقاً غـرائبـه

مـدى الأبيـد وأبـدان تنـادمـه

نضـح الدمـاء ، وأذهـان تسـاكبه(٨)

(٦) حفاف الشيء وحفاف الطريق وحفاف الشعر جانبه وما يحفّ به من حواليه وجمعه « أحفّه » وفى القـرآن الكريم « حافّين من حـول العرش » أى محدقين به

(٧) المرافه أطايب العيش والرفه ـ بفتح الفاء ـ هو لين العيش وطيبه ورغده ، ومعنى البيت ان هذا الدرب ـ درب الخلود ـ ما انفك من عهد آدم وسيظل حتى الأبد ملاذاً للحياة وللبشرية كلها ، بما تتيح لهما متاعب النضال والكفاح للسائرين عليه من طلائع الثوار والاحرار من غد مشرق ومن حياة فضلى وحرةٍ ، ورغيدة

(٨) نضح الدماء هو ما ينضح منها وما يسكب ، ومعنى البيت والبيتين

ينيره بشعاع الفكر مسرجه

ويهتدي بسراج منه خاضبه

وما يزال الغدُ المنشودُ في يده

يُقاس بالحاضر المشهودِ غائبه

* * *

غادى ثراكَ بنَ « ياسين » وراوحه

من الغمام مُلثٌّ القَطر صائبه(٩)

التالين له هو ان درب الخلود والخالدين يتنازعه ويتقاسمه أبداً وعلى مر الدهور الخالدون من طلائع الفكر البشري ورواد الثورة والانطلاق من أحرار العالم ومفكريه والخالدون من شهداء ملاحم البطولات ومضامير الجهاد والنضال المتعاقبون موجةً بعد موجة على سوح الشرف والكرامة والحرية

وان شعاع الفكر الخلاق والثائر ينير هذا الدرب بادىء ذى بدء ويتلوه على أثره وبهدي منه الابطال الشهداء الخالدون ممن يخضبونه بدمائهم

(٩) غاداه وراوحه أى لازمه جيئة وذهابا، وهومن الغدو والرواح، و«ملث» القطر أكثره الحاحا واستمراراً ومصدره « اللث » و « الالثاث » « وصائب » المطر هو ما يروى الارض بكثرة ما يصيب منها ، ويقع عليها •

صنعُ السماء وعند الأرض صَنعتُهـــا

دمُ الشبـاب مُلثّـــاتٌ سـحائبـــه(١٠)

يَسقي ضريحَك لا ينفـكُّ دائبُـــه

عـن الضجيج ، ولا يصطكّ ذائبـــه

سبحانَ من بدّل الدنيـا وساكنَهـا

لقـد مشــت خببـاً فينــا عجـائبـه(١١)

كان الكريمُ يوفّى النـذر منتحيـــاً

قبـرَ الـكـريـم عقـيراتٍ نجائبـــه(١٢)

تصـاعـدت همـمٌ للفـدي واستبقت

مـراتـبَ النفـر الفـــادي مـراتبـــه

---

(١٠) معنى البيت ان هناك ـ سحابا ثانيا هو من صنع الارض، غير السحاب الذي تصنعـــه السمـــاء وهو مـــا « تلثه » وتريقـــه على درب الشهيد « ابن ياسين » وعلى قبره صدور الشباب الفادى بمـــا تفجره من دمائها الزكيَّة

(١١) الخبب هو سرعة العدو والركض

(١٢) العقيرات من النجائب ـ وهن النوق الجيدة النجيبة ـ ما يعقر منها والعقر هو أن تضرب الناقة أو البعير على قوائمهما قبيل ذبحهمـــا وانتحى الشيء أخذ ناحيته وقصده قصداً

وفَّى لأمّته نذراً مفجّرةً

نحوره ، وخضيبات ترائبه(١٣)

* * *

ويا صحابةَ « صبحي » جهّزوا زُمراً

منكم الى الملأ الأعلى تصاحبه

غنُّ الفراديس ملَقى كلّ ذي شرف

طهرُ الملائك أرْحامٌ تناسبه(١٤)

غر الجباه على الغبراء تُسرجها

مرجُ المروءات ضوّته حباحبه(١٥)

---

(١٣) الترائب ومفردها « تريبة » هي اضلاع فى الجانب الأيمن من الصدر وفى الجانب الايسر منه ومعنى القطعة من القصيدة ابتداء من « غادى ثراك » حتى « وفى لامته نذرا » هو الاشارة الى تصاعد الاجيال وتصاعد مفاهيمها فى البذل والتضحية والمفاداة ، والمقارنة بين ما كان عليه العرب فى جاهليتهم فى اكرامهم ذكرى أبطالهم ومصارعهم من عقرهم النوق النجيبة على قبورهم ، وبين ما هم عليه اليوم فى مثل ذلك من تفجيرهم نحورهم وصدورهم جرياً على سنة « الفداء » وأخذاً بعنان البطولات

(١٤) غنُّ الفراديس ومفردها «غناء» مزهرها ، والملتفة أشجاره واغصانه منها

(١٥) الحُباحب بضم الحاء الاولى ومفردها « حبحاب » هى ذباب على

تسربلوا رملة الوادي يحنّطهم

نسيمه ، وتُواريهم مساحبه

وأسلموا حشرجاتٍ جدً هانئةٍ

ان الذي وهبوه الجرحَ عاصبه[١٦]

ذابوا على شفةٍ منه مَصارعهم

فيه بحيث أظلّتهم ملاعبه[١٧]

هيئة الفراشات يشع في الليل ويضيء الحقول والمروج ومعنى البيت ان جباه الشهداء الغرّ تضيء سوح الفداء ومروج المروءات كما تضيء الحباحب الحقول والمروج

(١٦) عصب الجرح ضمّده وهو من العصابة كانوا يلفون بها جراح الفرسان ومعنى البيت ان هؤلاء الفداة كانوا يسلمون حشرجات الموت وهم هانئون لمجرد أنّ من ماتوا لاجله ووهبوه جراحهم وهو وطنهم السليب قد ضمد جراحهم بما أهبّ عليها من نسائمه ، وبما لفّها من ترابه ورماله

(١٧) فى هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية له تصوير للحظات الاخيرة لصرعى الفداء وللاطياف التى كانت تطوف فى نفوسهم وأنّ حلما غافياً كان يمسهم وأن طيوفا عابرة لمرابع فلسطين وأرياضها كانت تعانقهم وأنهم كانوا يخلطون بين ملامح الغزلان والظباء السانحة فى تلك المرابع وبين ملامح الفتيات العذارى الكواعب فيها

وان واحات الزيتون المَخيلة كانت وكأنها بلطفها تنفض عن جفونهم المثقلة رعب الموت وفظاعته

ومسهم حلمٌ غافٍ وعانقهم
طيف بآرامه تُحكى كواعبه
ونفَّض الرعبَ عن أجفان محتضَرٍ
ظل لواحة زيتونٍ يداعبه
ولمح « بيارةٍ » لم يدن رائعُه
حتّى انثنى كرفيف الموتِ شاحبه
يا روعةَ البحر قد جاشت غواربه
من بعد ما لانَ وانداحت جوانبه(١٨)

* * *

تفجَّرت جنبات الليل عن نغمٍ
حُلوٍ كرجعِ صدى الأحلام ثائبه(١٩)

وأنّ لمح « بيارات » الليمون والبرتقال كانت ترف عليهم رفيف الموت نفسه حتى لا يدنو رائعها الا ريثما يرتد طيفه وهو شاحب متضائل

(١٨) غوارب البحر ومفردها « غارب » أعالي موجه وأثباجه وانداح استرسل والكناية هنا عن روعة البطولات وتصاعدها بعد أن ابتدأت مسترسلة هيّنة

(١٩) القطعة « حتى البيت كانت حلول وها أنتم »
تعبير عن قوة المد الفدائي وروعة انتشاره فى أرجاء الارض

ناغى « بفتحٍ » و «تحريرٍ» و «عاصفةٍ»

كمـــا تُناغي أخـا وجـدٍ حبائبـــه

وخلتني مـرهِفـاً سـمعـاً لأُنجيـةٍ

في المشــرقـين مُرنّاتٍ تجــاوبـــه

مـرحى شباب فلسـطينٍ بـه مـرحٌ

مـع الردى فهـو سـاقيـه وشـاربـه

مـرحى لمسـتبقـين الدهر أزعجهـــم

مَطـالُــــه وأملَّتهـــم ركـائبـــه

وتفجّر الوعي العالمي على زخم الفداء والبطولات ، ثم ينعطف الشاعر من ذاك الى مناغاة شعاب فلسطين وطلائع الفجـر الزاحف منهم والذى ينعته بأنه مَرِح في معاطاة الموت فهو يسقيه اعداءه وغاصبي وطنه قدر ما يشرب منه كما يساقي الشرب بعضهم بعضا ، وانهم الجئوا الى ذلك بسبب من التسويفات والمماطلات السياسية وبعد ان أتعبت ظنونهم واستنفذت صبرهم الشهور والاعـــوام ، وانهـم اعتلوا صهوات اليأس ومتون الخطر بعـــد أن امالت بهم عن أمل مكذوب لا رجاء فيه كالناقة المأيوس منها التى اقتطع سنامها ـ وهو ذروة الظهر منها ـ واجتث غاربها وهو الـكاهل او ما بين الظهر والعنق ثم يوضح ذلك بقوله ان هـــذا الشباب الفلسطيني كان فرائس حلول سلميّة مزعومة وكان ضرائب حلم وصبر مدعيين

يلوي ظنونَهم شهرٌ وقابلُه

ويمتري صبرَهم عامٌ وعاقبه

مسمَّرين على وعدٍ بلا كنفٍ

من ضامنيه ، ولا حولٍ يصاقبه

مالت بهم صهوات اليأس عن أملٍ

جُبّ السَّنام به واجتُثَّ غاربه

كانت حلول وها أنتم فرائسها

وكان حلمٌ » وها أنتم ضرائبه

ويا شباباً كطهر الفجرِ سيرتُه

وكالسحاب نقياتٌ نقائبه

ممن تبنّاه « غسانٌ » وسامرُه

وذو النعيمينِ « نُعمان » وحاجبه(٢٠)

---

(٢٠) الغساسنة ملوك بر الشام على عهد الرومان و « النعامنة » ملوك الحيرة وسواد العراق على عهد الفرس ، وذو «النعيمين » اشارة الى النعمان ملك الحيرة الذى كان له يومان يوم بؤس وفيه يهلك من يقع بين يديه ويوم نعيمٍ وفيه يفيض عطاء ورفعة وسماحا في حادثة مروية كانت سبباً لذلك

لا تخذلوا «فتح» عن ضيقٍ وعن سعةٍ
فيما يراضيه أو فيما يغاضبه
ولا يطِرْ بكمُ وهمٌ فثمَّ غدٌ
يُحصي الحسابَ وتأريخٌ يحاسبه
ولا يزحزحكم خلفٌ ولا جنفٌ
عن موقفٍ أعين الدنيا تراقبه
فليس بين طواعينٍ وأوبئةٍ
مثلُ الشقاقِ اذا دبّت عقاربه

* * *

ويا فتى الحيِّ مازجْ تربَه بدمٍ
كما يمازج صرف الراح قاطبه(٢١)

والقطعة حتى البيت « فليس بين طوعين » استمرار للقطعة السابقة واستنهاض للشباب العربي ان يشدوا ازر منظمات الفداء وفي الطليعة منها « فتح » و « عاصفة » وان يستفيقوا تماما من احلام الحلول ومن اطياف الوعود

(٢١) قاطبه اى مازجه من القطوب وهو ان تكسر شوكة الخمرة بالماء والقطعة حتى البيت

وحان للوطن اجتيحت سلامته
أن يصفع السلم رعديداً محاربه

ولا تثق بوعـودٍ ما استُجيش بهـا
جيشٌ لقـومٍ ولا نصـرٌ يواكبـه

اشادة بشجاعة « الفدائي العربي » وطلب اليه ان يمضى قدما في مفاداتـه وتضحياتـه وأن لا يثق بكل المماطلات والتسويفات السياسية التي تطيل في أمد الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وتميت في نفوس الجماهير جمرات الغضب ، والثورة والحقد على الغاصبين، ولا بكل الحلول السلميّة المزعومة التى لا يكسب بهـا نصر ولا تستجاش بها الجيوش والشاعر يصف هذه الدعاوات بالصخب الذى تثيره اللقالق وهي تطقطق الحصى

ثم انه ليتساءل عما اذا كان هناك فى التاريخ « حوار" » سياسي أعاد للمغصوب ما غصب منه وللمقهور ما سلب من أرضه وكرامته ، وعما اذا كان حوار مزعوم كهذا يختلف عن غشيانك ذئباً ممعوطـاً لتعاتبه بالحسنى املا بأن تكفى مذأبته وضراوته ، وعما اذا كان ذلك يختلف أيضا عن محاولتك أن تزحزح الوحش جاثما علىفريسته بأن تتزلف اليه بما تمسح من مخالبه

ثم انه ليتساءل عما اذا كان سواء من أنجز وعده فعلا ومن وعد بانجازه زعما أو من غسل عارا لحقه وأهله بدمه ، وآخر يكتفى عن ذلك بشجبه العار والتنديد به ، والشاعر يخرج من كل ذلك الى نتيجة واحدة منطقية هو أن ليس أمام الوطن العربي والشعب العربي الا ان يستثمر قضيته العادلة ، بأن يشدد من غضبته الحانقة، ومن حقه الصارخ بالدم وبالفداء حتى يخر الغاصب السالب عـلى الاعتاب

والا ان يهزأ الفدائي العربي بالسلم الجبان وعقباه الاستسلام ليس الا وبذاك وهذا وحدهما تضمن كرامة الوطن العربي الذى احتيجت سلامته وكرامته

ولا بسرب دعاواتٍ يُخال بها
سربُ اللقالقِ مُزجاةً صواخبه
ملَّت من النغم الواهي مثالثه
وعافت الوتر الجافي مضاربه
وهان خطبٌ لو اختصَّت صوادحُه
بما تغنّى ، ولم تتعب نواعبه
فمُدّعىً شاءه جهلا صوادقُه
غير الذي شاءه علماً كواذبه
أبِالحوارِ يردُّ الغُنمَ غانمه
أو يرجع البلد المغصوب غاصبه
أم أنت تطمع أن يكفيك مذأبةً
غشيانُك الذئبَ بالحسنى تُعاتبه
أو أن يزحزحَ وحشٌ عن فريسته
بأن تمسَّح بالزلفى مخالبه
أم يستوي منجِزٌ وعداً وزاعمُه
وغاسلٌ بدمٍ عاراً وشاجبه

قـــد آن للحـق أن تشتـدَّ غضبتـــه

حتى يخـــرَّ عـلى الأعتـاب ســـالبه

وحـان للوطـن اجتيحت سـلامتُـــه

أن يصفـع السَلمَ رعديداً مُحاربـه

* * *

ويـا بن امٍّ الـدواهي أيُّ منتَسبٍ

اذا نمـت ماجـــداً حـــرّاً مَناسـبه(٢٢)

---

(٢٢) ابن ام الدواهي كناية عن « الفدائي » المخاطر بنفسه فى الحروب والواهب اياها للموت وهذه الأمومة وهذه البنوة يستخرج منهما الشاعر أزكى نسب يفخر به الفدائي على كل حرٍ ماجد

والقطعة حتى البيت « يحيا مع الموت » استثارة للبطولات وتهوين للموت فى سبيل المثل الاعلى وتصوير للمآسي والنكسات التى لفت العوالم العربية حتى لكـأنَّ الشـرق العربي عـــاد مغرباً للشمس وحتى كأن لم يبق فيه من سناً للاصباح الا الجباه المعفرة للفداة الشهداء ومن مطلع للشمس الا دروب التضحية والمفاداة وحتى لم يبق الا وضح الدماء ما يجلى به غياهب الظلام

وفى القطعة نفسها اثارة للجبناء وللمترددين ودعوة الى اقتحام الردى وأن لا يراعوا بسيمائه ، وقطوبها فما ذلك الا لانها تعبير عن غيظ الموت وحنقه على كل طالب حق ويجانبه

وأخيرا فان الشجاع المستميت يذوق الموت مرة واحدة اما القعدد الجبان فانه يعيشه طول الدهر

دع مشرق الشمسِ للدنيا يغازلهـا
فقد دجَتْ عربيـاتٍ مَغاربه

سنى الصباحِ جبينٌ أنت عافرُه
ومطلعُ الشمس دربٌ أنت راكبه

لم يبق ِالا الدم الوهّاج تنضحه
على ظلامك كي تُجلى غياهبه

أقول للقعدد المهزول أضمره
هوانه وهوى للذلّ جانبه

ذق من «خُوانٍ» الردى تُسمنك عزّته
واقحمه تَعصمك من ذلٍ أطايبه

ولا تروّع بسيماد فانَّ به
غيظاً على ناشدٍ حقّاً يجانبه

يغري الشجاعَ باِصحارٍ تيقّنُه
أنَّ الجبانَ خبيثاتٍ معاطبه

يحيا مع الموتِ عند الموت مرتغب
فيه ، ويحياه طول الدهرِ راهبه

* * *

أقسمتُ بالدم عملاقاً فلا زَيغٌ
في مشيتيه ولا عوج مَناكبه(٢٣)
تحمل الوزرَ ألوى عنه وازره
وعافه خدنُه ، وانسلّ صاحبه
لخير يوميك يومٌ تستردُّ به
من كفِّ أمسكَ مجداً فات ذاهبه
يوم دحضت به عاراً ، وصنت به
غداً ، وأدركت ثأراً عزّ طالبه
سل الطواغيت هل من غالبٍ أشرٍ
الاّ وهذا الدمُ المغلوب غالبه
يزعزع الثقةَ العمياء ساربُه
كما يزعزع جذرَ الدوح ضاربه

---

(٢٣) معنى البيتين فى أول القطعة حلف" بالدم العملاق المستقيم الجرى والاندفاع ووصف له فى معرض الاشارة الى واهبه ـ بانه فدية عن قصور الآخرين وتقصيرهم ، وانه يتحمل الوزر عن وازره ومسببه وعمن تنصل منه وعمن انسلّ عنه وجواب القسم هو البيت « **لخير يوميك** . . » وباقي القطعة تأكيد لأولها

ومـــا المُفـاداة سـرٌ انهـــا خطـرٌ

هانت على يـد مقـدامٍ مَصاعبــه

اِنَّ المشيَّـــع مـدّتـه عـــزائمـــه

مثـــل المحنَّـــك أغنتـــه تجــاربـه

يا صـادق الفجـر زعزع أعينـاً غفيت

فقـد تقرحن ممـا طـال كـاذبــه

وأنتِ يا جمرة الحرف التي نضجت

أمُّ الـكتـاب بمـا توحي وكاتبــه

كـوني لي العونَ في خطبٍ أُكابده

ونجـدة الغـوث في خَلقٍ أخاطبه

فقـد تكتَّمتُ حتى لـــجَّ منفجــراً

بي الضميرُ وحتى ضجَّ صاخبــه

خمسون عاشت فلسطيناً ومحنتهـــا

كما يعيش قتـاد الشوكِ حاطبــه

نُضوى على قـدر ما نغشى مآدبهـا

اِنَّ اللئيمـة تُضـوي من تؤادبــه

من وعـد بلفور « زقـومـاً » نُطاعمـه

حتّى حزيـران « غسليناً » نُشـاربـه

* * *

وتائهـينَ نُهـين الشمسُ عَريتهـم

ويُحسـد الليـلُ اذ تُرخى ذوائبـه(٢٤)

صرعى الخيـامِ ملايـينٌ ممـزّقـةٌ

كنسـجهن الـذي راحـت تجاذبـه

تُجبى لها الصدقات المر مطعمهـا

مـرأى ومسمـعَ من راقت مشـاربه

---

(٢٤) القطعة هذه وما بعدها حتى البيت «لسوف يحقب٠٠» من الوضوح بحيث تغنى عن التطويل فى شرحها وهى بخلاصتها وجوهرهـا استعراض لنصف القرن الـذى عاشته بمرارة وانغـلاب فلسطـين المغتصبة بخاصة والامة العربية عامة ابتداء من وعد بلفور عـام ١٩١٧ حتى عام النكسة الكبرى ١٩٦٧

ثم استعراض للحياة المزرية المهينة التى يحياها ما يقرب من المليون ونصف المليون من اللاجئين الفلسطينيين فى خيام ممزقة وبكرامة ممزقة مثلها مرأى ومسمع أصحاب المـلايـين من حكـام العـرب وأثريائهم والمترفين منهم

وحولهنَّ ملايينٌ مكدَّسةٌ

كالاثمِ ضوعف لا تُحصيه حاسبه

ما أوقح الورق الدينار كم شمخت

على مناصبِ حاوية مناصبه

هذا الأديمُ سيخزي منه وادعه

حتى يصبَّ عليه اللعنَ غاضبه

يا ويح ما سوف تلقاه مخنّثةٌ

من القصور اذا ثارت زرائبه

لسوف يحقب من عارٍ ومن ضعة

من راح أمسِ مليئاتٍ حقائبه

* * *

يا قائد « الفتح » يستذرى بنبعته

نبع الفداء وترعاه مواهبه

نِدٌّ مع الموت غضباناً يناجزه

وجهاً لوجه كجلاّد يناصبه

يلقى الحديد بأضلاعٍ يفجرها

حقدٌ يذيب شبا الفولاذِ لاهبه

يهتز بالجرح تلو الجرح يحمله

كالسيف يعتزُ أن فُلَّت مضاربه

يا واهب المجدِ أعراقاً يفصِّدها

أغلى من المجد كنزٌ أنت واهبه

وجالب النصرِ عن صبرٍ وعن ثقةٍ

والنصر منهو- الا ّ الصبرُ - جالبه ؟

أُثني عليك بما يُثنى على بطلٍ

نبع البطولات أشباهٌ مساربه

وما عسى يبلغ المنطيق من رجلٍ

أسمى وأبلغُ من نطقٍ مناقبه

بل لو نثرت النجوم الزهر أعوزني

نجمٌ يوفيّك حق القولِ ثاقبه

* * *

يا قائـد « الفتح » انَّ النفَس مرسَلة
كالطـير تتـرى مراسـيلاً عصائبـه(٢٥)

وأصـدق الشعر ما هبَّت نسـائمـه
مـن الضمـير ومـا شبـت لواهبــه

وخـير من قِيض للنجـوى أخو ألـمٍ
نـدبٌ أراح عليـه الهــمَّ عـازبـه(٢٩)

أفرغـ روحي في الأرواح أمحضـها
بثّـاً صـراحـاً وشـر البث رائبــه(٢٧)

---

(٢٥) مرسلة من الاسترسال وهو الانبساط فى متابعة الحديث والمراسيل ـ ومفردها مرسال ـهو فى الاصل سهولة السير ونعومته للنوق وهى هنا توسع فى نقلها الى وصفٍ للطف طيران عصائب الطـير وتتابعه

(٢٦) قيضللنجوى هـّيّ واتيح لها، والندب النجيب والكريم، ورواح الهم وعزوبه تكرره ومداومته فهو لا يكاد يذهب حتى يعود

(٢٧) الصراح الصريح ، والرائب الكاذب ، وهما فى الاصل عند العرب للبن بزبدته وللبن المسحوبة زبدته منه

والقطعة هذه والسابقة لها اطراء لقائد « منظمة فتح » وثناء له على بطولته وصموده وتوجيهه ثم بث الشاعر اياه أحاسيس نفسه وخوالجها ومناجاته بصراحة ووضوح عما تجيش بـه المجتمعـات العربية من مضاعفات ومفارقات ومن تناقضات أيضا فى القـــاء

أشكو اليك تضاعيفاً بمجتمعٍ

على محاسنه أربت معايبه

ما ان تزالُ به االأعباءُ جاثمةً

على القليل اذا نابت نوائبه

شطَ المسافُ أفادٍ نفسه كرما

ومُفتَداةٌ بأهليه مكاسبه

وصاهرٌ في جحيم الناس مهجتَه

طاوي المُصيرِ على الضرّاء ساغبه

وامعات فلا زرعٌ وزارعه

هم لديهم ولا ضرع وحالبه

تباعدُ الموتَ اشفاقاً ويدمغها

شرٌ من الموت اذلالٌ تقاربه

وناسجون من الأحلامِ أرديةً

كل تجلبب منها ما يناسبه

التبعات الكبار والكثار على عواتق معدودة وفى تخلى الآخرين عنها ، وركونهم الى الدعة وحب السلامة واشارة الى فريق آخر يعيش فى الاحلام يلذها وفى الاوهام يغالط نفسه بها

ومنطـوون عـلاليهـم صوامعُهـم

ليت البديـل بهـم دَيرٌ وراهبـه

نعم الرِهـانُ اصطلى بالعـار خاسره

وانصـاع مُعتمـِراً بالغـار كـاسبه

يا قائد « الفتح » لم أهدف الى شَغَبٍ

وأنت عندكَ مـن هـمٍّ شـواعبـه(٢٨)

لـكنَّهـا نفثـاتٌ يُسـتراح بهـا

وقـد تُعينـك في هـمٍّ جوالبـه

* * *

يا قائدَ « الفتح » ما فتـحٌ بـلا تعبٍ

مهـرُ الطَماحِ الى العليـا متاعبـه(٢٩)

---

(٢٨) معنى البيتين انني لم أقصد ان أصدعك بما أبثك واناجيك وأنت عندكَ صدوع من جراحات جمة ، وانما هو بثٌ استريح اليه وفي الشطر الاخير منهما يتمثل الشاعر على ذلك فيقول ان جوالب الهموم بحد ذواتها تكون في بعض الاحيان دوافع لها ، أي ان ما يثير الحزن أو الهمّ في نفسك قد يكون مساعداً ونصيراً على تخفيفهما ، اذ يكون كبتها وحبسها مضاعفاً لها ومزيداً في تأثيرها واعتمالها

(٢٩) في هذه القطعة الاخيرة تأميل وتوقع لما سيسفر عنه ـ لا محالةً ـ

مـا لذَّةُ الـدربِ معموراً تسـايـره
وقيمـــةُ الأمـــر ميســوراً تطـالبـه

يا قائـد « الفتح » والدنيـا الى صُعُدٍ
والفكـرُ يستبـق الغايـاتِ دائبـــه

وربَّمـــا ازدهـرت غنـــاءَ وارفـــةً
غـــداً مـن القمـر النائي خـرائبـــه

تُمايز الـكـونَ عـن كـونٍ طبائعه
وتَفرقُ الجيل من جيلٍ ضـرائبـــه

سيـــدركـ بـن غـد عـزمـاً ومقـدرة
مـا نحن عن خَورٍ فينـا نُجـانبـــه

فطالمـا جـبَّ عهـدٌ وزرَ سـابقِـه
كما نفى الغلطَ المفضـوح شـاطبـه

الغد الذى يتمخض عنه اليوم المشحون والمؤذن بالانفجار وأن المستقبل المنتظر سيمر على أمس الغابر كما يمر المصحح على أغلاط يشجبها وسينهض الجيل للجيل كما ينهض المتبارزان فى حومة القتال

وقد تؤنّب أسلافاً خلائفُها

كما تؤنّب طفلاً أو تعاقبه

سيُسفر الغدُ خلّته شوائبه

مثلَ الجَمامِ انتفتْ عنه شوائبه

سيحفِزُ الجيلَ أجيالٌ تسابقه

كما تُطاعن قَرنا أو تضاربه

لسوف تحدوه للمغنى نواشطه

وانْ ترامت طليحاتٍ لواغبه

وسوف ينجاب كالاصباح مُقتبلٌ

هذي الضحايا عزيزاتٍ جوائبه

ما أبعد اليومَ عن غرٍّ يجانبه

وأقرب الغدَ من واعٍ يوائبه

رسالة مملحة ...

إلى أخي السيد عماشر

ارسلها الشاعر من « براغ » ، من مشارب « سلوفينسكي دوم »(*) الى صديقه الفريق اول الركن صالح مهدي عماش عضو مجلس قيادة الثورة ، ونائب رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، يتشوق بها اليه ، ويحاوره فيها على اثر الحملة التى شنّها على « الميني جوب » فى العراق •

وقد اجابه السيد « عماش » بقصيدة على وزنها ورويّها يجدها القارىء اثناء الشرح على القصيدة •

كما انه ـ القارىء ـ سيجد مقطعاً من قصيدة يعدها السيد الجواهري جواباً على جواب السيد « عمّاش » •

(*) « سلوفينسكي دوم » تعني بالعربية « البيت السلوفاكي »

وفَّى لهــا نـذراً فـوافـى
وسـعى بهـا سـبْعاً وطـافـا
ورمـى لهـا الجمـراتِ مـن
قلبٍ تعلَّقهـا شِـغـافـا
عـاد الحجيجُ وقــد سـعى
وسـعى ويـأبى الانصـرافـا
يتلمَّس الحجـراتِ يعرفهن
قـربـى وازدلافـا[1]
ويـرى بـكـلٍّ ثنيـةٍ
بعثـاً لـذكـرى واكتشـافا

* * *

ألـوى بهـا والثلـجُ يحتضن
المشـارفَ والحفـافـا
السـمحـةُ المعطاءُ حمَّلت
الخصـاصـةَ والشـظافـا

---

(١) الازدلاف كالزلفى التقرب والتودد

سـيمَتْ عن المـرَحِ الخَـــواء

وعـن رغادتهـــا الـكفافـــا

عَريت فراحت بالنديف البضِّ

تـــدثّـــر التحـــافـــــا

حتّى المسارج فى الـكُـوى

الخفـراتِ يخفقن ارتجـافـــا

وشـــتـــا بهـــا وكـأنّـــه

لم يشــتُ قبـل • ولا أصافا

متنظّـراً عــرسَ الـربيــعِ

لعلّـــه يـرعـى الـزفـافـــا

* * *

آهٍ عـلى ابـن العبـــد » اذ

تبرّض اللهـو اشـتفـافـا(٢)

---

(٢) « ابن العبد هو الشاعر المجلي ابن الخامسة والعشرين « طرفة بن العبد » صاحب المعلقة الشهيرة ذات المطلع

لخولة أطلال ببرقــة ثهمـد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد

يهوى «الطرافَ» و «بهكناً»

بضّاً ، وأن يحمي المُضافا(٣)

لو عـاد لاختصر المسافا

لـدنـا ، وحيـا ، واستضافـا

لـرأى لـه وسَـطَ الجبـالِ

الخضـرِ مـن ثلـجٍ طرافـا

لاعتـاض عـن حلبِ العصير

مشـى بـه عِلـجٌ ودافـا(٤)

والاشارة هنا ، فى هذه القطعة الى أبياته فيها

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وحقك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبقى العاذلات بشربة كميت متى ما تُعل بالماء تزبد

وكرّى اذا نادى المضاف محنبًا كسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب « ببهكنةٍ » تحت الطراف المعمد

وتبرض اللهو تبرضا اِشتفه اِشتفافاً أى تعاطاه بنزارة وبقلة

(٣) و « الطراف » الخيمة والطنب أو البيت من الأدم وهو الجلد والبهكنة المرأة السمينة الجميلة و « المضاف » وهو من استُفرد وأُحيط به فى الحروب أو الملتجىء وهو المستضعف أيضاً

(٤) حلب العصير يراد به الخمرة المحلوبة من عصارة العنب والعلج فى الاصل السمين الغليظ واستعير لابناء الاقوام من غير العرب وغير المسلمين منهم بخاصة ، وداف مزج وخلط

حلَبـــاً تقطّـر مــن شــفـاه

الغيـــدِ يُعتصـر انتـزافـا

وعن « البهاكِن » كلُّ رَودٍ

تُسـرج الليـــلَ الغُـدافــا[٥]

* * *

« أأبا هُــدى » شـوقٌ يلحُّ

ولاعــجٌ يُذكي الشِعافــا[٦]

شـوقَ المُبـارحِ لم يغيّــره

البعـــادُ ، ولا تجــافـى

وهـوىً يضـجُّ كعاصـفٍ

يتـوعّــد الشـجرَ انتصـافا

يصفيـــك محـــضَ وداده

حـرٌّ يُصـافي اذ يصـافى

(٥) الغداف الأسود وهو فى الاصل لجناح الغراب وللشعر الاسود المسترسل

(٦) أبو هدى هو كنية السيد (عماش) ، والشعاف ومفردها شعَفة بالتحريك هوملتقى نياط القلوب ، ويذكىالشعاف يضرمها ويشعلها·

يهب الحُشاشةَ لاذماً

منها يعاف ، ولا سجافا(٧)

حلوُ السريرةِ ، ينطف

العسلَ المُصفّى والسُلافا

فاذا استُثير فقلْ بصِلٍ

ينفث السمً الزعافا(٨)

يا منتج الدررِ الحسانِ

مَعانياً غراً ظرافا

يقطرن ابداعاً ، وايثاراً

وحبّاً ، وانتصافا(٩)

نُبِّئتُ أنّكَ تُوسع

الأزياءَ عَتّاً ، واعتسافا(١٠)

---

(٧) ذما من ذماء وهي البقية من نفس الانسان ومن قوة قلبه والسجاف هو الغشاء الخفيف على قلبه ورئتيه

(٨) الزعاف صفة للسم القتّال

(٩) الانتصاف هو الاخذ بالعدل للحقوق المغصوبة

(١٠) العت كالعنت أى التشدد والتعنت ، والاعتساف والتعسف ، الظلم.

تقفــو خطــى المتـأنقــات

كســالــك الأثــر اقتيــافــا(١١)

وتقيس « بالأفتــار » أرديــةً

بحجَّـــةٍ أنْ تنـــافــى

مــاذا تُنــافِي ؟ بــل ومـــاذا

ثــمَّ مــن خلُــقٍ يُنــافى؟

حــوشــيت ، أنــت أرقُّ

حاشــيةً ، ولطفــاً ، وانعطــافا

وأشـــــدُّ لِصقـــاً بالحجــى

وألـــد بالعــدل اتصــافــا

أترى العفاف مقاس أقمشــة ؟

ظلمـــتَ اذن عفـــافــــا

هــو فى الضمائر لا تُخــاط

ولا تقــص ، ولا تكافى

---

(١١) الاقتياف هو التعرف على مسالك السالكين من تتبـع خطاهـم عـلى الارض ، والمقتافون الفئات المتخصصة بذلك

من لـم يخف عُقبى الضمـير

فمِـن سـواه لـن يخـافـا

* * *

يا قـائـدَ الجيش اقتحـامـاً

والتحـامـاً ، والتفـافـاً(١٢)

---

(١٢) القطعة خطاب للسيد عماش بصفته العسكرية ـ فريق أول ركن ـ بعد ان كانت مخاطبته فى القطعة السابقة بصفته الادبية والشاعرية ومطالبته أن ينتقل بكلّ براعاته الذهنية القوية من اقتحام والتحام والتفاف الى ميادين المجتمع العراقي وان يقضي على كل مخلفات العصور القديمة ورواسبها ، وعلى الأخطبوط الارتجاعي المديد الذي يستنزف بذرائع كاذبة ، وأساليب ملتوية عدة كل طاقات الشعب وحيوياته ويعوقه عن ركب الحضارة وعن مقومات الحياة العصرية وعن كل المباهج والمسرات البريئة الجميلة التى يزخر بها كلُّ مجتمع قائم على مبادىء حقوق الانسان فى عيشة مرضية رضيّة

وفى القطعة صور عديدة لمظاهر الحرمان وفيها الى ذلك تعبير عن مدى التخلف الفظيع والمخيف فى العراق حتى الآن ، وعما سيجره وراءه من خطر التخلف المستمر فى حين يتصارع العالمان الشرقي والغربي على اقتحام الافلاك ، وعلى اقتسامها أيضا

ومردفة خلافا يراد بها ما يردفه الانسان خلفه فى سفره من شخوص وحاجات والبيت

زحفا كبيت ـ فى قصيد عامر ـ يشكو الزحافا

طوّقْ جهالاتِ الحمى

والعنعناتِ به الجزافا

وتقص كلَّ جذورهن

فلا القويَّ ، ولا الضعافا

أشمُ الحياةَ ولطفَها

فى موطنٍ يشكو الجفافا

أقوى فلا المرحَ استجدّ

ولا الصداحَ ، ولا الهتافا

وخلا كما تخلو الفيافي

غيرَ أتربةٍ تَسافى

وسوى العروقِ الناشفات

كأنّها تشكو الرُعافا

أن لم تُسل نهرَ الحياة

فخلّه يرد الضفافا

هو كناية عن تخلف المجتمع العراقي تخلف البيت من الشعر الذى أدركه الزحاف ، وهو من عيوب الشعر خلال قصيدة عامرة مستقيمة ·

فلقد أشاع الخوفَ فيه
وذُلُّ شعبٍ أن يخافا
وحشٌ من الحرمان لا
يُعفي السمانَ ، ولا العجافا
عصر الدماءَ من الوجوه
وردّها صُفراً ، نحافا
وأشاع فيها وحشةً
كالليل تأبى الانكشافا
هوت المحاجرُ بالعيون
كأنّ فيهن انخسافا
وتضرَّت الرغباتُ منعَ
العاطشِ العذبَ النطافا
قسماً بودك وهو حلفة
مؤمن يأبى انحرافا
إن لم نَدِن بالانطلاق
ولم نُصَفِّ الارتسافا

فلألـف عــامٍ ســوف نبقى

مثــلَ مُردفَــةٍ خِلافــا

متقهقريــنَ إذ العــوالــمُ

تسـبق الـزمنَ استلافــا

ســتدور فى القمــر الملاحـمُ

تـوسـعُ الفلـكَ انجـرافـا

كسبــاً لأيٍّ الغــازيــين

يحــلُّ دارتــه ادلافــا

ونظـلُّ نحـن نُطيـل فيمـا

لا خــلاف بــه خــلافـا

زحفــاً كبيـتٍ في قصيــدٍ

عــامرٍ يشـكو الزُحـافـا

* * *

يا مــن رأى فلـكَ النجــوم

مشـى بـأكـوابٍ وطـافــا(١٣)

---

(١٣) المراد بـ « فلك النجوم » السقاة فى مشرب « سلوفينسكىدوم » فى « براغ » ويوضح ذلك بقية البيت

هذى الصحافُ من الزبَرجدِ

رُحن يحمِلن الصحافا

ساعاً على ساعٍ وقوفاً

وانتشاراً ، واصطفافا

ينعمن بالكدح الشريفِ

يوفّر العيش الكَفافا

الساحرات فمن يردُّكَ

ان يطرن بك اختطافاً

والناعسات فما تُحسُّ

الطرفَ أغفى ، أم تغافى

والناهدات يكاد ما

في الصدر يختطَف اقتطافا

والخيّراتُ الناذرات النفسَ

للطيب اعتكافا

هديُ المسيحِ الى السلام

على العيونِ طفا وطافا

ودم الصليب على الخدود

يكاد يرتشف ارتشافا

علَّقن في أوساطهن

مآزراً بيضاً ، خفافا(١٤)

ورددنهنَ الى الظهور

فكن أردفةً رِدافا

ساءلت نفسي لا أريد

لها عن النحو انصرافا

أترى « المضافَ اليه » أحلى

أم علاقته المضافا

أحكمن جارحةً فجارحة

رسوخا وانعطافا

ما يعل بعل الكائنات

وما يحطُّ فقد أنافا

* * *

(١٤) البيت والابيات الثلاثة بعده وصف للزي الموحد الذى يرتديه الجنس اللطيف فى المشارب والمقاهي والمطاعم

« أأبا هــدى » إن كنتُ

مُتَّهمــاً ، فخـذ منى اعترافا

إنّــي وربٍّ صــاغهــنَّ

كمـا اشتهى هيفــاً لطافــا

وأدقهــنَّ ومــا ونــى

وأجلّهــن ، ومـا أحـافـا(١٥)

لأرى الجنــانَ إذا خلــت

منهــن أولى أن تُعــافــا

لو قيــل مـا سـفر الحيــاة ؟

لقلت مـا كــن الغـلافــا

أو قيــل كيـف الحـبُّ ؟

قلت بأن تُـداءَ فمـا تَشاقى(١٦)

* * *

---

(١٥) أحاف أي جار وظلم

(١٦) يداء أي يصاب بالداء وبالمرض

وفًى لها نـذراً فـوافى

وتجرَّموا فيه اقترافـا(١٧)

---

(١٧) فى هذه القطعة الاخيرة تعرض لتقولات المتقولين على أثر مغادرة السيد الجواهري العراق للمرة الثانية الى « براغ » بعد رجوعه منها لاول مرة عن تغرب طال قرابة ثماني سنوات ، وارجافهم انه لن يعود منها وهو يرد عليهم بأنهم كانوا كاذبين فى جملة تقولاتهم وان كانوا أصابوا فى جزء منها هو على قدر حرف « القاف » من كلمة « الصدق » وهذا الجزء هو فيما يتعلق بخوفه مما سماه بـ « خلق الفوارك » جمع « فاركة » وهى التى تدأب على حب « الطلاق » من أزواجها لبغضهم اياها وهو من « الفرك » بالتسكين وبالتحريك معا وهو البغض ويكني بهذا عن خوفه من ملل المالين

ويشير بالبيت ما انفك يؤثر حرة الى بيت من صلب قصيدة له لم ينشر بعد يقول فيه

يا غادية لسفوح دجلة حيث طينتها تشمُّ

واستاف الترب أو الطين أو العطر شمّه

وتستمر القطعة حتى نهايتها فى تبسيط نظرة الشاعر الى الحياة ، ومدى تخالفها ونظرات الكثيرين اليها فبينا يراها هو مرحلة محدودة المسافة والزمن والغاية ومطافاً يجبر المرء أن يطوفه بكل ما فيه من أوعار وسهول ، ومرتفات ومنحدرات ، وخير وشر وبينا يراها مفازة تتقاذف الناس وتساقطهم كما تنقذف النيازك والرجوم من النجوم

وان للمرء فى هذه المفازة موعداً مع الموت من العطش لابد ان يدركه ان عاجلا وإن آجلا وان فيها الى جانب كل هذه المخاوف والمخاطر واحات خضراء ظليلة تعن للمسافر والمطوّف بين فترة واخرى ، ومكاناً يتهيأ له ـ للمرء ـ أن يقطف من قطوفها

ظنّــوا الظنــونَ بـــه وقالوا

عـق مـوطنَـــه وعـافــا

كذبوا ، وان كانــوا أصابــوا

من حروف « الصدق » قافــا

ما عـاف .. لكـن خـاف من

خلـقِ الفـوارك أن يُعافــا

مــا انفـــكَّ يـؤثـر حـرَّةً

مـن طـينِ دجلة أن تُسافـا

وثمارها ما شاء ، ذلك لان وراء هذا المطاف قبراً مظلماً ، ودوداً زاحفاً ينهيانه ويتسلمان فيه المطوف ليحيلاه ترابا

بينا هو يراها على هذه الشاكلة ويحسبها على هذه الصورة اذ بالآخرين يحسبونها أياما وليالي تعد لتنقضي ، وخواء يسد منــه الفراغ بالتكالب على حطام الدنيا وباثارات للجدل وللخصـــام ، وبتهافت شره على مطعم ومأكل وملبس وبالاجمال فعـلى مظاهــر زائفة لا تغني من روح ولا تسمن من ذهن

ثم انه ليرى الحياة موتا مريراً ما لم تمازجها البهجة ويتراوح معها الحبور وهم يرونها اسفافاً فى الهزل واحترافاً بغيضاً فى الجد والعمل قدر ما يرونها معرضا لتصنع الجاه الكاذب يتصنعه كبش النطاح اذ يستهوي به الخراف التابعة له

لـكنَّـه عــــاف ابتعــــاداً

فــي المنـــازع واختــلافـــا

وها هي القصيدة التي أجاب فيها الفريق أول الركن السيد « عماش » على الرسالة الملحة هذه نسبنا ايرادها هنا كاملة لما في ذلك من اتمــام صورة واضحة للحوار ؛ وهي :

لاحِ ســقــانيهــا ســلافــا

ورمى بهـــا غيـداً لطـافـا

طابت « مملحـــة" بهــــا

الابيــات تقتطف اقتطـافـا

« نبئتَ أني اوسع الازيـاء

عتــــاً واعتســــافـــا

« اقفــو خطــى المتأنقـــات

كســالك الأثــر اقتيـافــا

« وأقيس بــالافتــار أرديــة

بحجّـــــة أن تنـــافــى »

ودعــوتني للمكـــرمـــات

لعــون شــعب أن يخـافـــا

ورويت عن « فلك النجــوم

مشــى بــأكواب وطــافـا »

« الســاحــرات فمن يــردك

ان يطــرن بــك اختطــافا »

ونسيت اني لا أخاف المــوت

بلــه غراب نــازلة غـدافـا

هــو يحسـب الـدنيـا مطافـاً

كـــان حتمـــاً ان يُطـافـــا

ادمي اِلــه الحــرب طعنـــاً

واقتحـــامـــاً والتفـافـا

من يـُدم خاصـرة اللبـوث

اِذا انثنـت فينـــا زرافـــا

لا يخش خـاصـرة الغـواني

والمـــآزر ، والـردافـــا

«والناهدات يكاد ما في الصدر

يختطــــف اقتطـــافـــا »

مــن يخطف الثمـرات فـى

صـدرِ تجــلى أو تعـافـى

اِلا «على بابا» بزوراء العراق

مشـــى وطـــافـــا

« ودم الصليب عـلى الخدود

يكـاد يرتشـف ارتشافـــا

« علقـــن فى اوســاطهن

مـآزراً بيضـاً خفـــافـا »

« ورددنهـن الى الظهـــور

فـكـن اردفـــة ردافـــا »

اِن تثقـــل الأزر الظهـــور

فتلـك مسألـــة تـلافـى

أوعـارُه وسـهولُـه

يتمازجـان بـه ائتـلافا

سـاءلت نفسـك لا تريـد
لهـا عـن النحـو انصرافا
« أترى المضـاف اليـه أحلى
أم عـلاقتـه المضـافا »
إنـي أرى أن المضـاف
بـه السعادة أن يضـافا
بئس المنبِّىء لـم يـرم
في الكذب للحـق انتصافـا
عـوذاً بكـم أهـل الحجـى
أن تقبلوا الخطـأ الجـزافا
مـا كـان « عمـاش » يغيظ
الغيـد بل خطـأً تلافى
أوسـعتـه للاجئـات
ففـي غـدٍ تلقـى مطـافـا
من يـدر قـد نلجـا غـداً
ونلـف نرتجـف ارتجـافـا
لـو طفـت فـي الاردن
أكبرت العـروبـة والطوافـا
ورأيـت ملتـاعـاً يمـزق
جـرحـه منـك الشغـافـا

قفـرٌ تقـاذفنـا كمـا

تسـاقط الرجمُ انقـذافـا

فعـلامَ نمـرح والسويس

تـدك بالنـار انقـذافـا

لـلاجئـات المقبـلات

الطـول أولى أن يضـافـا

« راشيل » تضربنا رصاصة

دمـدمـا غـدراً بيـافـا

و « الموشي » يغتـرف الدماء

القـانيـات بهـا اغتـرافـا

وشبابنا يتخنثون «خنافساً»

هـوجـاً ، عجـافـا

إنّـا نـريـد مـآثـراً

لا قصـر أرديـة كفـافـا

نبغي من النسـوان تربيـة

البـراعـم والعفـافـا

سـلهـا أيعجبهـا المخنفس

أن يـزف لهـا زفـافـا

ام تعشـق الأسـد الهصور

الكفء ، والبطـل المعـافى

سلوفينسكي مرتاد السلافيين

أولـى أن يعـافـا

لك موعدٌ والموت من

عطشٍ يُوافي ، أو يُوافى

وطباعنا في بعض ما

يجدون من طبعٍ تنافى

أخشى على فتياننا

منه انسياقاً وانجرافا

أخشى على الجيل انهياراً

وابتذالاً ، وانعطافا

وذكرت عن صنع الاله

كما اشتهى هيفا لطافا

« وترى الجنان إذا خلت

منهن أولى أن تعافا »

إني ـ أبيت اللعن ـ اطلقها

اعترافاً ، واعترافا

أهوى خيال الفاتنات

وإن حوى سمّاً زعافا

أرنو لهنّ بلهفةٍ

وأكاد أترك ما تجافى

أفدي المضاف اليه إن

ترك العلاقة والمضافا

لكن ما يرضي الفضيلة

ذاك أحرى أن يضافا

واحب حسن الغانيات

يزين بالطهر العفافا

وبــه مــن « الواحــات » مــا
يُــدنــي لمقتطِفٍ قطــافــا
ووراءه لحـــــــد " ، ودود "
ينهيـــان بـــه المطــافـــا

وقد أجاب السيد الجواهري على هذه القصيدة ، بقصيدة على رويّها وبحرها ، لم تكمل بعد ، مطلعها

وفــى لــه نــذراً فــوافــى
بخــريــدة كرمت قطــافــا

ومنهـــا

مهــلاً أبا المهــدي ـ مهــلاً
ان فــى الحــق انتصــافــا
مهــلاً فــان مفاخــر النظــراء
انصبــة تــكـــافــى
خمسون حين الــكهل طفــل
كــان يقطعهـــا ارتســافــا
واذ العـــروبـــة لفظـــة
جــوفــاء مرســلة جــزافــا
فجـــرت فــى جنبــاتهــا
جســداً وروحــاً وانعطافــا
أذكــت قوافيَ الجــريحــة
مــن فلســطين الشــغــافــا

فـاذا بـــدا نبـــعٌ لعينـــك

فيـــه فاغتـــرف اغترافـــا

وهـــم يُغـذّون المطـــاف

ويفســـدون بـــه الطَوافـا

ولَقَبْل جيــل حــين كان

الحــرف أتــربــة تســافى

طوفتُ بــالاردن والجــرحى

وأحســنت الطــوافـــا

ولقطت منهـــا الحشرجــات

وصغتهـــا دمعـاً ذرافـــا

شـــعراً كــأن عليـــه نـــيرانا

وصـــافيـــة ســـلافـــة

كان الصداح أهـــز أجيـــالا

بـــه كـــان الهتـــافـــا

ومشـــى الىّ دم الشـــهيـــد

يكـــاد يرتشف ارتشـــافـا

نـــاغيت بـــالـــدم والهـــوى

وبتلــكم النفثـــات « يافـــا »

انسيت اذ « حط الركابا »

فيهـــا واذ لثـــم الضفـــافا[1]

---

(١) اشارة الى قصيدة السيد الجواهري الشهيرة « يافا » والتي **مطلعها**

بيافا يـــوم حط بها الركاب

تمطر عارض ودجا ســـحـــاب

يجـدونـه جـدلاً ، ومتّجراً

ونبتـــــاً ، واعتـــلافـــا

اذ راوحت غرف الجنـــان

لـه عـلى « اللد » السجافـا[٢]

واذا الجـراح عـلى قوافيـــه

تقطـــــرت انتــــزافـــا

انسـيت « اغنيــة الفـداء »

ومـن تنـاسـاهـا أحـافـا[٣]

---

(٢) اشارة الى أبياته من هذه القصيدة ـ يافا ـ التى يقول فيها

ولمـا طَبـق الارج الثنــايـا

وفتح من جنــان الخلد باب

ولاح « اللد » منبسطاً عليــه

من الزهرات يانعة خضـــاب

نظرت بمقلة غطى عليهـــــا

من الدمع الضليل بها حجاب

وقلت وما أحير سوى عتاب

ولست بعارف لمن العتــاب

أحقــاً بيننـــا اختلفت حدود

وما اختلف الطريق ولا التراب

وما افترقت وجوه عن وجوه

ولا«الضاد»الفصيح ولا الكتاب

(٣) اشارة الى قصيدته الشهيرة « الفداء والدم » وهي القصيدة الثانية في هذا الديوان

ويـرى الحيـــاة اذا خلـت

مـن بهجـةٍ مـوتـاً ذَعافـــا

ويرونهـا فـى الهـزل اسفافاً

وفي الجـدّ احتـرافـــا

إذ كـل حـرف عندهـا

يشـكـو من الالـم الرعافا

★ ★ ★

مهـلاً أخي « عماش » قـد

اوجفت فى الدرب اعتسافـا

لا يصنـع الجيش اللهـام

وان أنـاف وان أخـافـا

فى الحـرب مـا أنا صانـع

اذ اوسـع الـرجـم انقذافا

انا رب « حطين » و « يافا »

أنـا صاحب القلب المعـافى

★ ★ ★

مهـلاً أخـي « عمـاش »

وقيت التنـازع والخـلافـا

أنا لست ابرح أحسب الدنيا

انطـلاقـاً وانـكشـافـا

وتصنُّعاً للجــاه يسـتهوي

بــه إلـكبشُ الخــرافــا

وارى النضــــال وملعــب

الخفرات أقــرانــاً ردافــا

من خــاف من حب الحيـــاة

تخــوف المــوت الذعــافــا

يابن الفراتين ...

القي قسم منها فى مهرجان الشعر التاسع ببغداد فى شهر نيســان عــام ١٩٦٩

وكانت القصيدة لم تكمل بعد لسبب مشاركة الشاعر في المؤتمــر قبيل انعقاده بثلاثة أيام فقط ٠

يـا ابن الفراتـين قـد أصغى لك البلدُ

زعمـــا بأنـك فيـه الصـادح الفرد

زعـم بحسـبك منه الفخرُ ان صدقوا

أو لا فواجـد هـم ٍ بثً مـا يجـد

ولـن يهوّن بثٌ مـــا تجيشُ بـــه

وقـد تهونُ عـلى النفاثـةِ العقــد[١]

مـا بـين جنبيك نبـعٌ لا قـِرارَ لـه

من الطـامـح يستصفي ويـرتفــد[٢]

اذا تخلصـتَ من هـمّ أطحت بـــه

شـبت همـومٌ عـلى انقاضـه جـدُد

---

(١) النفاثات فى العقـد الساحرات اللواتي يعملن سحرهن فى العقـد المشدودة فتنحل من نفسها امعانا منهن فى القدرة على السحر، ومعنى البيت مخاطبة الشاعر نفسه بأنه مهما استعان بالشعر عـلى بث همومه ، فان هذه الهموم أضخـم وأكثر من أن يهوّن منهـا البث والنجوى

(٢) معنى البيت وتاليه استمرار للبيت قبلهما وتبيين ان بين جنبي هذه النفس الشاعرة نبعاً عميق الغور لا نهاية له من المطامح العليا وان هذا النبع يظل أبدا يستسقي ينابيع اخرى بمنزلة الروافد له ٠

كأن نفسَك بقيا انفسٍ شقيت

وكلُ ذنبِ ذويها أنهم ُوجِدوا(٣)

وانهم حلبوا الايام اضَرعها

حتى اذا محضتهم در ها زهدوا

فاضت على الكرة الجوفاء وانطلقت

تُوفي على عالم أوفى وتقتعد

مشعشعات وليلٌ حولها طبقٌ

وطاهراتٌ ورجسٌ دونها نضُد

---

(٣) هذه القطعة ابتداء من هذا البيت حتى البيت

وانهم خرجوا منها بأفئدة من الاسى ، والاذى ، والحب ، تفتأد

وصف لهذه الزمر من ذوى النفوس الكبيرة الطامحة ، والمعذبة التي تجيء الى الدنيا مرغمة فتشقى وكل تبعتها فى تحمل ذلك محض كونها قد وجدت وان هذه النفوس تظل ما عاشت تهب الحياة الخير والرقة والحب ، والاشعاع ، ولا تأخذ منها غير العذاب ، والالم والجراح النازفة ، وانها تعيش هذا العمر المفروض عليها وكأنها غريبة عن كل ما حولها وشريدة فى ارجاء العالم الفسيح وانها وهي كذلك لتفيض على هذه « الكرة الجوفاء » على هذه الدنيا ، سعة وانتشارا لانها أكبر منها ، وانها « توفي » على عوالم من صنعها وتخيلاتها أوسع وأوفى لتأخذ محلها ومكانها منها

اعتفد أغلق عليه بابه ليموت جوعاً

يرتـاد في سـوحهـا كونٌ بأجمعِـه

وما لهـا سَـبَدٌ فيـه ولا لَبَـد

ويستقي دمَهـا جيل ويُنكـرهـا

ويَغتـذي روحهـا خلـقٌ وتعتفـد

وأنهـم خـرجـوا منهـا بـأفئـدة

من الاذى والاسـى والحب تُفتـأد

وأنهـم وقـد التاثت عقـائدهـم

زيفـاً ومحضـاً أدانوا كلَ ما اعتَقدو!

* * *

يـا ابن الفراتـين لا تحـزن لنازلـة

أغـلى من النـازلات الحـزنُ والـكمد(٤)

---

(٤) فى هذه القطعة حتى البيت

فى ذروة المجد لا يصبيك منحدر ولا يروقك منه ساحل نجد

يثبت الشاعر نفسه ويوطنها على تحمل المكاره ، والشدائد ، وعلى

دوح الرجولة لا تلوي الريـــاح بـه
لـكن تُنفـض أوراقـــا وتْختضـــد

مجابهة مآسي الحياة ومهازلها ، وتناقضاتها بكل ما يعهده فيها – أى فى نفسه – من عزيمة ، وجلد ، وثبات

كمـــا يوصيهـــا الى ذلـك ان تكبـت فى نفسهـــا مـــا تجيش به من أثر الصدمات ، ووقع الآلام وهو يقول بهذا الصدد ان التأسي تكلف الا أن ينفي عنك الاسى ، وان التجلد ، وهو تصنع شيء والجلد ، وهو طبعي ، شيء آخـــر والشاعر يوصي نفسه ان يكون جلدا والا فان يكون أسيا اذا اقتضى الامر

ويخرج من هذا الى القول بوجوب الصراحـة فى القــول وفى المجاهرة بالرأي وبضرورة الصدع بكلمة الحق مهما كان عقبى ذلك والى التشديـد على عدم التصنع فى الحرف ، وفى الـكلمـة وهو يرمز الى ذلك – من باب العكس والطرد – بما يتمناه الرجل على المرأة الحامل – وهي هنا طبيعة النفس وجوهر الارادة والفكرة المعتملة – من شكل المولود الذى تضعه ، ومن جنسه ناهيا عن ذلك ، أى عن أن يقترح الشاعر الموهوب شكل الفكرة ، أو الاسلوب أو نوعيهما ، دون الاهتمام بجوهرهما وآمرة عـلى العكس من ذلك بتركهما حرتين يلدان ما يشاءان

والبيتان الاخيران تحميل الشاعر نفسه ما تخاطر به من قول أو من عمل يصدع بهما ما تألفت عليه الحياة أو المجتمعات من قوالب ، ونماذج ، وصور ، ويشبهها بالبحار المخاطر المجازف الذى يتعمد أن يركب البحر هائجا ، مائجا عاصفا بل وحتى ان لا يقذف به الموج العارم الى الساحل الامين الذى يكون – عادة – من أعز أمانى المبحرين

وهو يضيف الى ذلك ان الشاعر يحمل بين أضلاعه الد خصومـه وأشد أعدائه ، ويريد نفسه وهواه

ولا تلـــذ بتعـــلات مســـوفـــة

ولا يكتّفـك صبـر حبلُـــه مَسَـد

فمـا التأسي اذا لـم ينف عنـك أســى

ومـا التجلـد ان لـم ينفـع الجلـــد

لم يبق امســـك من عقبى يَـلذ بهـا

يـومـاك ان شـقيقَ الطارفِ التلـد

وخـل نفسَــك تجـرد من أعنتهـــا

رسلا تَراوح ، أو تشـتد ، أو تَخـد

فان أفظـع مـا في الكون مضطهَـــدا

خوالج فى حنـايا الصـدر تُضطَهد

ومـا ضمـانـةُ قـول لا شـفيـع لـه

مـن الضمير ولا من ذمـــةٍ سـند

ولا تحـاور بمـا استصفيت معتقـــدا

ولا بـ « كيف » و « ماذا » رحت تعتقد

ولا تغالط فقد أغناك زخرفةٌ

من قبل الفين فيما صاغه « لبد »

لا تقترح جنس مولود وصورتَه

وخلّها حرةً تأتي بما تَلد

وقل مقالةَ صدق أنت صاحبُها

لا تَستمن ، ولا تَخشى ، ولا تَعد

وما تخاف ، وما ترجو وقد دلفت

سبعون مثل خيول السبق تطّرد

لا ترهق الدهر عتباً أو مخاصمة

ففي دمائك خصمٌ كلُّه لَدد

ركبت اثباجَ بحر جُنَّ عاصفه

ليلا ، فنوتيُّه بالنجم يعتضد

في ذروة الموج لا يصبيك منحدر

ولا يروقك منه ساحلٌ نجد

* * *

أمس استضافت عيوني فيالكرىشبحا

به تلاحم أمسٌ مشرقٌ وغد(٥)

---

(٥) استضافت عيوني فى الكرى شبحا كناية عن الطيف اذ تنطبق

نــاشــدتُــه وعـــلى أثوابــه علـــقٌ

من الــدمـــاء ، ومن جبــاتهـــا زرد(٦)

ووجهُــهُ كشعَـــاع الفجـر منطلـقٌ

وعينــه كـــوميـض الجمـــر تتقـــد

عليه العيون فكأنها تستضيفه والشبح المقصود ـ كما سيتوضح ذلك ـ هو شبح الجبار العملاق ابن الكوفة الحمراء ، أبي الطيب ، أحمد بن الحسين المتنبي وتلاحم الامس المشرق والغد يراد بـه تلاقي الحضارة والتراث العربيين فى أعز العصور العباسية ـ وآخرها كذلك ـ انتاجا ، واستواء فيالفكر، والرسالة ، والعلم ، والادب٠ بما يتوقع منها فى الغد العربي المشرق ، عبر أشعار المتنبي ، وعبقريته، وشخصيته العملاقة والتى كانت ـ وما زالت ـ تعتمل وتتفاعل على ممر العصور مهيبة بالامة العربية أن تسرع فى تكوين شخصيتها، وان تتخلص من اوضار المجتمعات المتخلفة ، ومن شوائب الانظمـــة الفاسدة ومن تحكم الافراد ومن سيطرة الاجانب

(٦) العلق هنا الدم الشديد الغليظ والمتيبس منه على وجه التخصيص ، والزرد هـو الدرع ـ المزرودة ـ ذات الزرد والحلق وفى البيت تشديد على هيئة الشبح ـ شبح المتنبي ـ المصبوغة بالدماء ذلك ان المتنبي قتل وهو فى طريقه من ـ شيراز ـ عاصمة البويهيين أيام أعظم ملوكهم شأنا « عضد الدولة » الى بلدته الكوفة وكان مقتله على يد « فاتك » ، لسبب يكاد يكون سرا مجهولا حتى الآن وذلك بالقرب من دير العاقول على نهر الفرات

وفيـــه تأليفـــــةٌ من هيكـل عجب

فيــه الحمامــةُ جنب النســر تتحــــد[٧]

أنا ابن « كوفتك الحمـراء » لي طنبٌ

بهــا ، وان طــاح من أركانــه عمــــد[٨]

جــوار كوخكَ لا ماءٌ ولا شـــجـرٌ

ولصقُ روحك لا مالٌ ، ولا صفـد

ولا شكـاةٌ أيشكو السيف منجـردا ؟

لا يخلق الســيف الا وهــو منجـرد

---

(٧) فى البيت اشارة الى ما تجمع شخصية المتنبي العظيم من سماحة النفس وصفاء الضمير وهو ما اريد تشبيهه ب « الحمام » ومن قوة الشكيمة وصلابة العود ـ الى جانب الغضب الخلاق على تدني الطباع وتردي النفوس وتعاسة المجتمعات العربية وهو ما قصد تصويره ب « النسر »

(٨) البيت اشارة الى مجاورة السيد الجواهري منشأً ومسقط رأس وموقع دار لابي الطيب « المتنبي » وذلك لان النجف لصق الكوفة وعلى بعد مسافة قريبة جدا منها

والعجز من البيت تعبير عن أن الطنب الذى ينزله الشاعر ـ ويريد به بيته ـ فى الارض المشتركة بينهما قد أطاح الزمن بعمد هـام من أعمدته الا وهو المتنبي نفسه

خبّت بنـا فارعاتُ الجـو نُوسـعهـا
ذرعـاً ، وخبّت بـك الزيافة الأُجُـد

* * *

فكن أبا « الطيّـب » الجبـار لي مـددا
ولي بمـا صغت من « جبارة » مـدد(٩)

---

(٩) والقطعة حتى البيت

وكان «كافور» فردا تستقيم له   واليوم شتى «كوافير» وننفرد

استعراض ونقد وتحليل للعالـم العربى الذى عاشـه المتنبي ومجتمعاته وأنظمته وجبلات النفوس فيه وتركيز على وجوه مقارنات عديدة واليمة كذلك بينه وبين العالم العربى اليوم الذى ينوء بثقل باهظ من رواسب العصور المظلمة ومن مخلفاتها ، ومن أنظمة الحكم شبه الفردية فيها ، ومن عقد النفوس ، واختلال الطبائع، وضياع المقاييس

و « ابن عباد » هو الوزير المستبد والاديب الضليع وصاحب الرسائل المنسوبة اليه الصاحب بن عباد ، أمير العراق ، والمتصرف المطلق في شئوونه وكان من ألد أعداء « المتنبي » لمحض انه تمنع بأباء عنيد عن مدحه وان ببيت واحد من الشعر بالرغم من استماتة «الصاحب» في هذا السبيل ، فكان من ذلك ان أغرى به كل شعراء بغداد ومتشاعريها بشتمه ، وقذفه شتما وقذفا فظيعين وفى رواية انهم كانوا نيفا وأربعمائة شاعر وشبه شاعر

و « كافور » هو الاخشيدي أمير مصر وبر الشـام الذى قال فيه المتنبي غررا محجلة من قصائده بادىء ذى بدء ثم برم بـه

يـا شـاغل الدهـر أجيـالا وأحقبـة
ومتعب الناس من ذموا ومن حمدوا

ويـا معـرّي اطبـــاع ومـا خبـــأت
ويـا محطـم أصنـــام ومن عبـــدوا

عـلى الوجوه مشـت اكذوبـة عرض
وقر تحت الجـلـود الجـوهرُ النكـد

الغـائصـون الى الاذقـان في وحـلٍ
ويزعمـون ريـاءً أنهـم سـعـدوا

وبتجبره وبخله وبحبسه اياه بين الحرمان فى الاقامة والمنع عن الترحل حتى كانت الفرصة السانحة للمتنبي ليلة عيد أضحى شغل بها كافور ورجاله ، والناس أيضا عن كل شيء الا بمهرجانات العيد وأفراحه فانسل المتنبي فى جنح الليل هاربا ، سالكا دروبا وعرة مجهولة سالما بنفسه ، وعندئذ وابتداءاً من مرحلة الهرب هذه ، ابتدأ يسلق « كافور » بما لم تسلق بـه الديكة الروميـة من حرارة وقوة وفوران

وقصائد المتنبيء هذه فى « كافور » يدوي لها الزمن والاجيـال علما بأن « كافور » هذا وقد استزله المتنبي الى أسفل الدركات كان واحدا من أعلام ثلاثة يختصون بلقب « الاستاذ » لعلو مكانهم فى العلم ، والادب ، والشعر ، والسياسة وهم الصاحب بن عباد ، وابن العميد ، وقد مدحه المتنبي أيضا و « كافور الاخشيدي » هذا

أقسمت أنك عملاق به غلق

لا الارض عن سره تنبي ولا اللحد

« لفاتك » كانت آلةً رُفعت

وراءها خُبئت من آخرين يد

تبطنتها لتخفي من ذكاوتها

اسطورةً لم ترق حتى لمن بلدوا!

أبا « محمد » دنيا رحت تمخضها

فما تلقف الا ما نفى الزبد

أشرف عليها تجدها مثلما تركت

كأنها من رسوخ مثقل « أُحُد »

أحكمةً ، أم وقارا ، أم مكابرة

لم يدر ذلك الا الواحد الصمد

تَبني وتهدم ما تَبني كما انتقضت

خرقاء يعكس ما حاك ويطَّرد

مشت بها جاهلياتٌ ، وعنجهةٌ

ولات منها النفوسَ الثأرُ والقَوَد

الف مضت و ابن عباد بها أحـد

واليوم الف ابن عبـاد » ولا أحــد

وكان ان لم تهبـه مدحــة حــردا

واليـوم من نغتلي في مدحـه حــرد

وكــان « كافورُ » فـرداً تستقيم لـه

واليـوم شتّى « كـوافـير » وننفـرد

عـلى الهـوامشِ أصفـارٌ مـجمـدةٌ

كمــا تراكم حول الحافـة الجمـد

فــذو العقيــدة مشـتومٌ ومتهــم

وذو المـواهب محـروم ومضطهــد

ان يسكتوا يخطف الخفاش » نورهم

ويســمعـون بـذاءات اذا انتقــدوا

نحن الغريران في دنيـا بهــا صبب

في المعطيـات بنـا عن مثلـه صـعــد

رغـادةٌ وادقــاعٌ قسـمـةٌ ضنـك

ضيزى لمن زرعوا فيهـا ومن حصدوا!

حتى ابـرينـــا فجئنــاهـــا بثـالثــــة

ان الشــقــاء اذا اسـتعلى هــو الرغـــد

* * *

وقـائــل لــو أرحت الشــعــر قــافيــة

بهــا عروقــك راحت وهي تفتصــد(١)

---

(١٠) فى هذه القطعة حتى البيت

فكل ما وهبوها انها عمرت وبعض ما وهبتهم انهم خلدوا

يشيد الشاعر بعظمة الشعر العمودي « الكلاسيكي » الاصيــل وبروعة « القافية » وبعذوبة السجع الموسيقي فيه ، وبأصالة الحرف ، وبناء الكلمــة تبعــا لالتزام الترابط فى البنـــاء وفى الاداء وفى مراعاة الانسجام

ويجرد الشاعر فى معرض الدفاع عن كل ذلك حوارا بينه وبين قائل متسائل عما اذا لم يكن من الاروح والاحسن ، لو انه وفر على نفسه عناء القافية ومشقة البحر والوزن وهما مدعاة جهـــد وتعب تركا طابعهما على وجه الشاعر وعلى ملامحه وعلى الغضون المتحفرة فى جبينه وهو يرد على ذلك ، بأن هذا « الشعر » ما هو مجرد « حرف » تمشي النغم فى طياته وما هو محض « فكرة » توهجت بخيال ملهم كما يبدو للمرء لاول وهلة

ولكنها ــ وعلى الاقل فكما يراها الشاعر نفسه ــ أكثر من ذلك انها ــ القوافى ــ فى حقيقة الامر ، محاريب «مقدسة بتجسيد الايمان، والفكرة ، والمعتقد ، أى ان القافية لشـــدة تركزها ، وعمــق تأملهــا تكون اطــارا مبرزا ومعبرا ومجسدا للفكــرة التي يرمي اليهــا

غطت جبينك أعراقٌ مغضنةٌ
وطاف في وجنتيك الجهد والسهد
ولو تخلصت من « دال » واخوتها
وراءها راحب « الدالات تحتشد
أريته أن بي من أمرها عجباً
فلا صدودٌ ولا بعدٌ ولا صدد
غرائب ورحاب الارض مطرَّحٌ
وشردٌ ، وقلوب الخلق متسَّد
تدنو وتبعد من تلقاء فطرتها
خلاف ما عودته الانّس الخُر د
توقد النفس اذ تشتف طلعتها
وتستحيل رمادا حين تفتقد
ويرقص القلبُ في أضلاعه طرباً
بها • وتمشي على مهلٍ وتتئد

الشاعر في كل بيت أو مقطع من أبيات القصيدة ومقاطعها
ثم يستمر الشاعر فيصف المعاناة الشعرية في معرض وصفه
لاوقات سنوح الفكرة ـ مجسدة بالقافية ـ وفى الهيئات التى
تظهر بها والحالات التي تكون عليها

حـرفـا تراهـا مشـى فى طيـه نغـم

وفـكـرةٌ بخيــال ملهـــم تقـــد

بينـا أراهـــا محـاريبـا مقـدســـة

بهــــا تجســـد ايمـــان ومُعتقَـــد

عمـــر النجـوم مسـافـات واقيســـة

وعمرُهـــا وهي في ريعانهـا أبـــد

لـم يجز غر القوافي من لهـا نـذروا

نفوسهم ، وان اشتطوا ، وان جهـدوا

فكـل مـا وهبوهـا انهـــا عَمُرت

وبعضُ مـا وهبتهـم انهـم خـلـدوا

* * *

خُبّرت للنثر في « بغـــداد » مؤتمـرٌ

يزهـو ، وان ندي الشعر محتشـــدِ(١١)

---

(١١) فى هذه القطعة تحية الى مؤتمر الادباء، وحوار مع الشعراء، والكتاب ، فيه عتاب على تجاهلهم فى كل المؤتمرات التي ساهموا فيها أعواما طويلة زمرة خيرة من أحرار العراق وشعرائه وادبائه ممن شردتهم الطغمة الحاكمة أواخر عام ١٩٦٣ عن وطنهم وأسقطت عنهم جنسياتهـم

وان من مشـرق الفصحى ومغربهـــا

زهـرُ النجـوم على الشطين تنتضـــد

فقلت ليت نــدي َ الحب يجمعنـــا

سيـان مقتـربٌ منــه ومبتعـــد

وليت يلتــمّ شـملٌ كلــه كِسَرٌ

وليت ينضم قَصْدٌ كلـه قِصَد

يـا قــادةَ الفكـر لـو لمـوا صفوفهم

وذادة الشـعـر لو لـم يكثر العـــدد

وصاغـةَ الحرف لو لم يغش رونقـــه

زيفٌ ، ولم تمش في مخضره عُقَـــد

تضاءلوا في مـلاءات تُخـــاط لهـــم

ولـو يشـاؤون في سُـمٍ لهـا نفـدوا

وعقـدتهـم حـزازات ولـو خلصـوا

أملوا على الدهر ما حلوا ، ومـا عقدوا

وفيهم من طبقت شهرتهم الآفاق العربية وتجاوزتها

والشاعر يوضح هذا العتاب المرير أشد توضيح مما يغني عن الشرح الكثير

أكل عـامين يمسـي شـملنـا بـددا

ويختمـــان بـأسـبوع وينعقـــد

ونسـتـديـر الى عـامـين بعـدهمـا

والشـمـل منـا ، ومما نرتأي بـدد

مـا أن نبـالي بأن نُرضي بـه أحـــدا

ولا يبـالي بـأن نَـرضى بـه أحـد

* * *

ويـا جـديرين بالحسنى مطـارحـة

في كل ما انتقَدوا منها ، وما انتُقدوا

لا تغضبـوا ان في عتب محـــاورة

وان في القـول اصـدارا لمـن يـرد

سـبع رمتنـا ولـم نجـرم بقـارعـة

كاننـا من رعيـل مجـرم طَــرد

وخلفنـا مـن أحـاسيس وأفئـــدة

عطشـى مـلايين لا تُسـقى ولا تـرد

تدعـو كـم أن تذبوا عنهـــم جنفـــا

يا مسرفين ، وان بالحرف يُقتَصـــد

فمـا اسـتدار فـمٌ منكـم ولا قلـــمٌ

ولا تقطـر مــن بحـر الندى ثمــد

صبع عجاف ، وقد كن السمانَ لـكم

فيهـا اللهـا واللهى ، والجاه ، والرغد

عـــلى المـوائـد أكـوابـا وأطعمـــة

مــن شـاء يحترّ أو من شـاء يبتـــرد

* * *

وصـاحب لي لـم أبخسـه موهبـــة

وان مشـــت بعتـــاب بيننـــا بُـــر د(١٢)

---

(١٢) في هذا المورد حتى البيت

بيني وبينـك أجيـال محكمة على ضمائرها في الحكم تعتمد

يغمز الشاعر من عود أديب عربي معروف شارك في مؤتمر الادباء هذا ، والقى فيه كلمة اتهم فيه شيوخ الشعر الراسخين ، وتزلف الى الشباب والناشئين · ولو أن هذا القول ـ على سذاجته وعفويته ـ كان بريئاً لهان الامر ولكن الامر على العكس والى هذا المعنى

تنفى عن الشـعر أشياخـا واكهلـة

يـزجي بـذاك يراعـا حبـر ه الحَرَد

كـأنمـا هـو في تصنيفهـم حـكـمٌ

وقـولـه الفصـلُ ميثـاق ومسـتنـد

ومـا أراد سـوى شـيـخ بمفـرده

لـكنـه خـاف منـه حـين يَنفـرد

مهـلا رويـدك لا تُبعـدك موجـدة

عن السبيـل سـواء نهجهـا جَـدَد

يشير السيد الجواهري بقوله « يزجي بذاك يراعاً حبره **الحرد** ••
وبقوله

وما أراد سوى شيخ بمفرده   لكنه خاف منـه حين ينفرد

أي ان الاديب العربي المذكور عندما نفى الشاعرية **عن شيوخه** ،
لم ينتصب أمامه الا شيخ واحد ليس الا **وهو الجواهرى نفسه** •
وذلك بحكم كونه الوحيد الذى يشار اليه ، **فى هذا المجال ، بوصفه**
أبرز الشعراء الكلاسيكيين الشيوخ

أما عدم براءة هذا الحكم والتي عناها الشاعر **بقوله :**

وان مشت بعتاب بيننا برد •• »

فلها حكاية يمتد تاريخها الى ما قبل ثلاث سنوات على وجه التقريب ،
عندما كان الشاعر فى منفاه

بيني وبينك أجيالٌ محكمة

على ضمائرها في الحكم يعتمد

قالوا أتتك حريفاتٌ بملأمة

فقلت الفُ كريم قبلها يفد

أسلمتُها لعيونِ الناس تخزرها

خزرَ الصقور فتستثني وترتعد

تطاولَ القاعُ حتى استقعرت قممٌ

واستأسدالغيُ حتى استنوق الرَشد

واستنفر البائعون الروح شاريها

فهم لكل يد مجذومة عضد

في الشعر من فرط ما احتكوا به دَبَرٌ

كما تأكل عظم الناقة القَتَد (١٣)

---

(١٣) « القتد » وجمعه أقتاد وقتود خشب الرحل يكون على ظهر الناقة • والضرباء أو الظربان وجمعه ظرابي بتشديد الياء ، وظرابين دويبة بحجم « ابن عرس » تعيش فى الاجحار ، ولها رائحة شديدة النتونة وفى المثل العربي — فسا بينهم الظربان — أى تنافروا وتباغضوا • و « القرد » و « القردان » جمع قردة و « قراد » دويبة صغيرة من

تشكّت « الضاد » مما يُنزلون بهـا
كما اشتكى الجسم مما تُفرز «الغُدَد»

في لفظـه ظـربـاء مـن تقيحـه
وفي معـانيـه من أنفاسـهـم قَـرَد

نجـوا بزعمهـم من اسـر قـافيـة
والشعـر لـولا أسـار نثرة" قِـدَد

ان الجمـال « اسـار" » عـزّ مطّلبـا
هل يحزن الغيد أن قد اسرف الغَيَد

أم يفرحُ الظبىَ ان لا يُزدهى حَوَر
في مقلتيـه ولا في جيـده جيَـد

فصيلة « القمل » تتعلق بالمواطن الحساسة من « البعير » والكلب ونحوهما

والمقصود هنا فى البيتين التعريض بالشعر المنحل الركيك الذى يتعاطاه نفر من المتشاعرين بدون عناية بأسلوبه ، ولا رعاية لمضمونه، ولا التزام بسجعه ونغمه ، وبدون رصيد سمين من التراث العربي الاصيل وانه لفرط ما يجار على تراكيبه ، ولشدة ما يأكل لفظـه المتكلف ، من معانيه الهزيلة ، ليشبه ظهر الناقة المتأكل من فـرط ما يعض القتد على عظامه ، وانه ليبدو وكأن فيه « ظربانا » يفسد من نفسه و « قرادا » يمتص من دمه وروحه

وحاشدين خشار القول بعثهم

بخسا ، وأبخس منهم كان ما حشدوا(١٤)

الخاملون اذا استنهضتهم غضبوا

والضالعون اذا قومتهم حقدوا

والمستطيرون غربانا مفزعة

حتى اذا عن صداح فهم حشد

والمطعمون سعير الحقد لحمهم

لا بارح العظم ذاك الحقد والحسد

والمجهزون على الجرحى كأنهم

ربد الذئاب اشتفت أن جرح الاسد

يغيظهم أن في يافوخه شمما

وأن تناثر عن اكتافه اللبد

وانه وهموم الغاب تثقله

لا كاهل خان متنيه ولا كتد

* * *

(١٤) « خشار القول » فضلته والرديء منه

يا شـاتمـي وفي كفـي غلاصمهـم

كموسـع الليث شـتما وهو يُزدَرد

وعـاضـى وفي أفـواههـم شـــلل

ارخى الشفـاه ، وفي أسنانهـم دَرَد

اتلطمـون جبـينَ الشمس أن قـذيت

عيـونكـم فبهـا من ضوئهـا رمـــد

أم تفرغـون ميـــاه البحـر أن نضبت

حياضكم فهي نزر ، موحـل ، صـرد

يا بن « الركائك » والايـام هـازئـة

بميتين عـلى ما اسـتفرغـوا جَمـدوا(١٥)

---

(١٥) الركائك « جمع ركيكة » ويراد بها هنا السفساف الركيك من الشعر، والنسبة اليه زيادة في الانتقاص من المنسوب ، والخطاب يجوز أن يكون الى متشاعر معين بذاته كما يجوز أن يكون مقصودا به كل واحد من هؤلاء المتشاعرين على حدة

والقطعة حتى البيت

ما ضر من آمنت دنيا بفكرته   ان ضيف صفر الى أصفار من جحلوا

تنديد في معرض الدفاع ـ بنفر من أدعياء الشعر والادب ، تعرضوا للسيد الجواهري في الآونة الاخيرة ، وتهجموا عليه تطاولا واعتداء ٠

مـا ضـر مـن آمنت دنيـا بفكرتـه

ان ضيف صفر الى أصفار من جحدوا

* * *

ويـا فتى المغـرب الاقصى بـه نُـذُر

للشـرق ، لا زيـغ فيهـا ولا أود(١٦)

---

(١٦) المراد ب « فتى المغرب » مندوب المملكة المغربية الى مؤتمر الادباء ببغداد ، وكان قد القى كلمة قيمة لاقت استحسانا واعجابا حمل فيها على كتاب « المشرق العربي » فيما يتهمون به « المغرب » جهلا وظلما ، بتقاعسه عن معركة المصير فى فلسطين ، وعن التجاوب مع الاصداء العربية فيها وقد دافع السيد « المغربي » دفاعا مجيدا عن الشعب العربي فى المغرب وبخاصة عن مفكريه وطلائع الحركات الفكرية فيه ونسب الاحكام الجائرة التي يطلقها الكتاب والصحفيون فى المشرق الى الارتجال ، والجهل ، والتسرع • والشاعر فى هذه القطعة ينتصر فيها للمغاربة ويقول للاديب المغربي مهونا عليه ان ما ينقم منه ، من كل ذلك ، يبتلى به ادباء المشرق العربي فيما بينهم أنفسهم فهم مرمى للمطاعن ، وغرض لسهام الشتائم ، وموطن للتجالد والتعارك والتطاحن وفى البيتين

يا بن « المغارب فى اعماقنا بشر

اسيان ، غرثان ، خب ، ناهز ، حرد

من كل « موءودة » لون كان بنا

مستنقعا عفنا من فرط مائند

يكني الشاعر بهذا « البشر » السيء ، الخبيث ، الكامن فى أعماق المجتمع العربي عن العقد النفسية العديدة ، والضارة المتراكمة على

سمعتُ صرختك الغضبى فخلتُ بهـا

ما يبعث الغـاب اذ يُستزأر الاســـد

تنعـى علينـــا بـأنـا في عـواطفنـــا

عـلى الاظانين ، والتشكيك نعتمـــد

وان أحكـــامنـا فيمـــا نشــطّ بهـا

بتراء ، لا نصف فيهـــا ، ولا سَــدد

هـون عليـك ففيمـــا بيننـا أبـــدا ،

نحن المشارقَ ، نستضري ، ونَجتلد

يـا بن المغـارب في أعمـاقنـا بشـــرٌ

أسيان ، غرثان ، خب ، ناهز ، حــرد

عن كل موؤدة لـونٌ .. كأن بنـــا

مستنقعا عفنـا من فـرط مـا نئـــد

النفوس ، والتي يبقى أثرها في كل تصرفات الافراد والجماعات ـ ويقول انها مردودة ، في الحقيقة ، الى كبت الاحاسيس ، والمشاعر ، جراء فقدان الحريات الشخصية ، والاجتماعية ، وبسبب من شيوع الحرمان ، وتأصل الحزازات ، وسيطرة القسوة ، والعنف ، والاثرة ، ومن وراء ذلك ضياع المقاييس ، وتهاوى الموازين

يا بن المغـــارب مثل النجم متقـــدا

يُرى مشعون انّى استوطنوا اتقـدوا

لا يبعـــدُ النـأي عـن حب أحبتـــه

ضـوء العيـون لصيقٌ وهـو يبتعـد

* * *

دعوا الى الوحدة الكبرى فقلت لهم

نـذرٌ لذلك مني الـروح والجســـد(١٧)

---

(١٧) فى هذا المورد حتى تمام القصيدة استعراض شامل للمرحلة الشاقة التي تلف العالم العربي بأجمعه ، وعلاقة كل ذلك «بالوحدة الكبرى» التي تغفو وتستيقظ ، ثم تغفو أيضا بين الآونة والآونـة ، وبـين البواعث والبواعث ، واشارة الى فقدان هذه الوحدة التى ينذرالشاعر لها روحه ، وجسده ، ويناغيها منذ خمسين عاما ، ركائزها الاصيلة ، ومقوماتها الضرورية وأهمها تجاوب الشعوب العربية معها تجاوبا ينبعث من أعماق وعيها من جهة ويستند الى تعاطفها جماهيريا ، جذريا وليس تعاطفا دعائيا واعلاميا محدودا وعلى صعيـد رسمي ضيق ويرد ذلك كله ، الى أنظمة دمقراطية سمحة واصيلة يكون قوامها الجماهير « المسودين » فى كل ما يردونه ، وفى كل ما يصدرون عنه ، وليس ارادة الحاكمين « السادات »

ثم يستمر الشاعر فى تعداد مهام هذه الوحدة المنشودة ، بوصفها وحدة صادقة ومكينة الجذور وفى قدرتها المتوقعـة على صـد ما يحاك للوطن العربي الاكبر من مؤامرات ، وما يفتح له من جبهات، وما يخطط له من مصائر ، ولا يفوت الشاعر ان يذكر « المغالين » فى

خمسين ظلت اناغيها كما نغمت
ام الوليد يناغى عندها الولد

ولا مباهاة أهلي كلهم رضعوا
منها اللبان ، وفي أحشائها لحدوا!

فان سألت فعن شوق لموعدها
كعاطش يبتغي وردا فلا يجد

هاتوا بها علّ أن يُستصلح الجسد
فقد تقطع عن انياطه الكبد

ففي فلسطين خيل الرجس مُحكمة
رباطها وببيت « المقدس » الوتد

وقد أطالت سياط البغي جلدتها
يُشوى بها جلد أحرار وتُعتَبد

استعمال هذه الوحدة ، وفى قيامها للمرة الثالثة ، بارتجال وعفوية ، واندفاع بما كان لهم ولغيرهم من تجارب مريرة بشأنها فى أمس قريب ، وقبله فى أمس الاول منه كان حصادها « شوكا » عن زهر ، وكان نتاجها « حنظلا » عن شهد !!

وفي الخليج أساطيل مداخنها
طلعُ الشياطين علّى ريث يُحتصد
تقيء حقدا على واعين تحذرهم
يحدون صرخة ايقاظ بمن رقدوا
ما أتعس الجار لا يعطي بضائقة
حسن الكفاف اذا لم يحسن الرفد

* * *

هاتوا بها علّ دوحا جف يرتعد
وعلّ شوكة ذل فيه تُختضد
وعل عار « حزيران » ووحشته
ترفض عنها الليالي الحلّكُ الرُبُد
في كل دار بما يُستام ساكنها
على الجباه غبار الموت منعقد
يستوحشون مِن الارض التى نزلوا
ويَخجلون من الماء الذي وردوا

تلمس الا صعدُ الشماخ عن انف

عرنينه ونبا بالاصيد الصيَدَ

فليس للعربي اليوم من وطن

ما ظل غاوون عن أوطانهم طردوا

هاتوا بها علّ في فدي مشاركة

لا يفتدى غيّبٌ عنه بمن شهدوا

وعل فيض الدم الخلاق مكتسح

يلف من رغبوا فيه بمن زهدوا

ذُم التسرف الا فى دم سرِب

يحمي الحمى ، مُستذم فيه مقتصد

* * *

هاتوا بها علّها تُحدى بأنظمة

على المسودين لا السادات تعتمد

فما يزال على الاحرار في بلد

وآخر ، وعلى أنفاسهم رصد

عـلى الحـدود أضـابـير لمن صلحـوا

من ثائرين عـلى ظلم ، ومن فسـدوا

نُـذاد عـن وطن عشـنا مصـائـره

كما تُذاد عن « المزروعة » النَقَـد

أقـول للقـوم غـالـوا فـى رغائبهـم

حتى تخـالـط جَـدٌ منهـم ودد

نصح لكم محضه حلوا ـ وخالصـةٌ

لي المـرارةُ ـ منـه العـذل والفنـد

لا تقبسـوا جمـرة العجـلان واتئـدوا

فطـالمـا سبـق العجـلانَ مُتئِـد

ولا تملوا فمـا اليوم العتيـد لـكـم

بـوعـد صدق اذا لـم يصدق العتَد

بالامس اذ أجهضت سـقطا ولادتُـه

والامس كالغـد مرهـون بمـا يلـد

جربتمـوها فأجـلى الشوكَ عن زهـرٍ

نتاجهـا وأجـر الحنظـل الشَهـد

وذاك ان لم يكن فيما يراد بها

على الجماهير من أمر فم ويد

بل وازدرى المؤمنون الوعد منتجزاً

صد وقه فرط ما غُروا بما وُعدوا

جيل « تمدد » مهزوما وقد وُعدت

بالنصر خمسا وعشرينا به المدَد

جيل يُمطط بالبلوى فأصبيةٌ

به شبابٌ وكهال به قُعَد

* * *

قبل التوحد قد يُلوى به الامد

دعوا الجيوش بخيل الله تتحد

من كل بيت خذوا مستبسلا بطلا

وجندوه يته زهوا به العدد

وأركبوهم طريق النصر خافقة

أعلامه وفسيحات بها النُجد


يا دجلة الخير

نظمت شتاء عام ١٩٦٢ ، وكان الشاعر يمر بأزمة نفسية حـادة ، اثر اضطراره الى مغـادرة العراق هو وعائلته ، والاقامـة في مغتربه في جيكوسلوفاكيا ، وكان ذلك في صيف عام ١٩٦١



حُيّيتُ سفحَك عن بُعْدٍ فحَيِّني

يا دجلةَ الخيرِ ، يا أُمَّ البساتين

حييتُ سفحك ظمآناً ألوذُ به

لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطين

يا دجلةَ الخيرِ يا نبعاً أُفارقُه

على الكراهةِ بين الحينِ والحين

انّي وردتُ عيون الماءِ صافيةً

نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني

وأنتَ يا قارَباً تلوي الرياحُ به

ليَّ النسائمِ أطراف الأفانين

وددتُ ذاك الشِراعَ الرخْص لو كفني

يُحاكُ منه غداة البينُ يطويني[1]

---

(١) الرخص اللين والناعم والافانين جمع لجمع فنن أما جمعه فأفنان وهي الاغصان

ومعنى القطعة حتى البيت

تهزني فأجاريها فتدفعني كالريح تعجل فى دفع الطواحين

ان الشاعر ـ وقد أضرت به الغربة واشتد به الحنين الى العراق ـ

يا دجلةَ الخيرِ قد هانت مطامحُنا
حتى لأدنى طَماحٍ غيرُ مضمون
أتظمنين مَقيلاً لي سواسيةً
بين الحشائشِ أو بين الرياحين ؟
خُلُواً مِنْ الهمِّ الاهم خافقةٍ
بين الجوانحِ أعنيها وتعنيني
تَهزُني فأجاريها فتدفعُني
كالريح تُعجِل في دفع الطواحين

يجد مجرد العودة الى وطنه أشد وأغلى مطمح يطمح اليه ، وان هذا المطمح نفسه غير مضمون وهو لذلك يتمنى أن يكفل له مقيل بين الحشائش على ضفاف « دجلة » ان لم يتيسر له مقيل بين الرياحين عليها

كما يتمنى أن يكون ذلك خلوا من كل هم وشاغل من هموم الدنيا وشواغلها سوى شاغل واحد لا يقدر أن يتخلص منه ، وكأنما هو جزء خليص من نفسه هو هذه الاحاسيس التي تعتمل بين جانبيه وتخفق في جوانحه فهي بذلك تعنيه قدر ما هو يعنيها

وهذه الهواجس والاحاسيس والعواطف ـ وهي صلب الكيان الشعري ـ لا تبرح تهزه هزا لا يقدر معه الا أن يجاريها ، والا أن يندفع معها تماما كما تعجل الرياح في دفع الطواحين الهوائية

يا دجلةَ الخيرِ يا أطيافَ ساحرةٍ

يا خمرَ خابيةٍ في ظلِّ عُرْجون(٢)

يا سكتةَ الموتِ ، يا اعصارَ زوبعةٍ

يا خنجرَ الغدرِ ، يا أغصانَ زيتون

يا أمّ بغداد ، من ظَرفٍ ، ومن غَنَجٍ

مشى التبغدد حتى في الدهاقين(٣)

يا أمَّ تلك التي من ألفِ ليلتها

للآن يعبقُ عطرٌ في التلاحين

(٢) « الخابية » وعاء من الفخار يعتق فيه الشراب و « العرجون » كزنبور عذق النحل اذا يبس واعوج

(٣) « التبغدد » وبابه من « تفعل » تكلف عادات أهل بغداد ، وأخلاقهم، وطراز معائشهم وطرق الحياة والتعامل والتخاطب وقد انتشر « التبغدد » فى معظم أرجاء العالم أبان العصور العباسية الاولى وفى أيام رفعة العالم الاسلامي والعربي وعظمته وامتداد نفوذه وسلطانه ، أخذا بالظرف واللطف البغدادي ـ عاصمة الدنيا الاولى آنذاك ـ وتعاطيا لأساليبها وأزيائها وتأنقها

و « الدهاقين » جمع دهقان بالكسر وبالضم رؤساء القرى والمدن المتنفذون وهي فارسية معربة والاسم فيها « دهقنة » والتفعيل « التدهقن »

يا مستَجم «النوآسي» الذى لبستْ
به الحضارةُ ثوباً وشي « هارون »(٤)
الغاسلِ الهمَّ في ثغَرٍ ، وفي حَبَبٍ
والمُلبسِ العقلَ أزياءَ المجانين
والساحب الزُقَّ يأباه ويكرهُه
والمُنْفِقِ اليومَ يُفدى بالثلاثين(٥)
والراهنِ السابريَّ الخزَّ في قدحٍ
والملهم الفنَّ من لهوٍ أفانين(٦)

(٤) النواسي هو أبو نؤاس شاعر العراق الاول فى بواكير العهد العباسي الزاهر على عهد هارون الرشيد وولديه الامين والمأمون والى ذلك الاشارة فى بقية البيت

(٥) الشطر الاول من البيت اشارة الى قول أبي نؤاس من قصيدة له

قدأسحب«الزق»يأباني وأكرهه حتى له فى أديم الارض اخدود

والشطر الثاني الى قوله من قصيدة اخرى

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقمنا بها «شهرا»

(٦) فى هذا البيت اشارة الى قوله من قصيدة له وقد رهن ثيابه الثمينة كلها ومن جملتها خلع خلفاء العباسيين عليه

وبعت قميصا سابريا وجبة وبعت رداءً معلم الطرفين

ثلاثين دينارا جيادا ذخرتها فأفنيتها حتى شربت بدين

والمُسْمِعِ الدهرَ، والدنيا، وساكنها

قرع النواقيسِ في عيدٍ الشعانين(٧)

* * *

يا دجلة الخير ما يغليكِ من حنقٍ

يغلي فؤادي، وما يشجيك يشجيني(٨)

---

(٧) عيد الشعانين من أعياد النصارى المشهورة ولأبي نؤاس فيه وفى الاديرة بوجه أعم أشعار حلوة واشارات رقيقة

(٨) فى هذه القطعة حتى البيت

والصبر ما انفك مرداة لمحترب ومستميت ، ومنجاة لمسكين

يناجي الشاعر « دجلة الخير » ويطارحها ويستثيرها أيضا فهو يقول لها انه يعلم ويلم بكل ما يغليها ويحزنها ويفجرها ان سياط البغي والبطش بالناس تنقع وترطب فى مياهها الطاهرة وخيول العدوان والبطش تلغ ـ وكأنها الكلاب العاوية ـ فيها لتغير على القرى والمدن الآمنة

وانه يدري بكل ما تطفح به مساربها ومجاريها من بؤس وألم وتمزق وانه ليكاد يحس حتى ما تتفجر عنه أنغامها السمر ـ أى أنغام مياهها السمر ـ وكأنها أنات المحزونين من أبناء العراق المنتشرين على ضفافها أو ـ على وجه ثان ـ ما تتفجر به من من نغم حزين تألما ومشاركة لاحزان هؤلاء

وانها ـ وبالرغم من كر الدهور واختلاف العصور ، وتبدل الانظمة، فأنها ـ دجلة ـ تبتلي بحكم السلاطين المستبدين وتهزأ بهم وبحكمهم أيضا وان أرواح الفراعين الطغاة ما زالت ترفرف على سماء الشرق العربي كله بعامة وكأنها تتفلت من توابيتها ونواويسها

ما إنْ تزال سِياطُ البغي ناقعةً
في مائك الطُهرِ بين الحِين والحين

وانها تهزأ وتسخر من التناقض والتباين الصارخ فيما ينشر على ضفافها من خصب الجنات والحقول ، والمزارع ومن بؤس الملايين الكادحين المأجورين فيها لحساب المستغلين

وفي الابيات الستة الاخيرة من القطعة يرسم الشاعر صورة اخرى جديدة لطبقة منافقة منتهزة جبانة في العراق وان « دجلة الخير » تهزأ بها في جملة ما تهزأ به من صور ، ووقائع وكيانات فهم عتقاء يوم المعارك والملاحم أي أنهم ممن يؤسرون لجبنهم ثم يعتقون أمنا من مغبتهم وركونا الى ضعفهم وعجزهم وانهم الضارعون المستكينون للصدف وللظروف وللاقدار وكأنهم « ذو النون » النبي اذ تلقفه وهو يسبح في البحر حوت ضخم فابتلعه فظل في جوفه أعواماً طويلة يدعو الله في السماء لخلاصه وانهم – هؤلاء المرائون المغالطون – وهم يرون الواقع المر الأسود بأمهات عيونهم ومع هذا فانهم يفزعون منه الى الحدوس والتأويلات والتبريرات خوفاً من مواجهته وانهم يفضلون – اذ هم يدعون التضحيات – أن تجدع انوفهم ولا « تجدع الازمات والشدائد شيئا من أموالهم وأملاكهم فزعا من الفقر وحرصا على الترف والبذخ، وانهم يلجأون الى الاستكانة في ذروة المحن مفلسفين ذلك بادعاء ضرورة الصبر والتأني والتعقل وكل هذه حبال موهونة ركيكة في عرف النضال الثوري

ويزيد الشاعر في توضيح ركاكة الصبر المدعي بقوله انه شيء يلائم المساكين لجبنهم ونفاقهم وريائهم ذلك لأنه مدعاة سلامة لهم ، بينا هو بغيض منفور لدى المناضلين الشجعان والمستميتين حتى لكأنه مرداة وهلاك لهم

ووالغاتٌ خيولُ البغي مُصْبِحةً

على القُرى آمناتٍ والدهاقين

يا دجلة الخير أدري بالذي طفحت

به مجاريك من فوقٍ الى دون

أدري على أيِّ قيثارٍ قد انفجرت

أنغامُكِ السمر عن أنَّاتِ محزون

أدري بأنكِ منْ الفٍ مضتْ هَدراً

للآن تَهْزين من حُكم السلاطين

تَهزين أنْ لم تزلْ في الشرق شاردةً

من النواويسِ أرواح الفراعين

تهزين من خِصبِ جنَّاتٍ منشَّرةٍ

على الضفافِ، ومن بؤس الملايين

تهزين من عتقاءٍ يوم ملَحمةٍ

أضفوا دروع مطاعيمٍ مطاعين

الضارعين لأقْدار تحِلُّ بهم

كما تلوَّى ببطن الحوت ذُو النون

يرون سُود الرزايا في حقيقتها

ويفزعون الى حَدسٍ وتخمين

والخائفين اجتداع الفقرِ ما لَهم

والمفضِلين عليه جدْع عِرنين

واللائِذين بدعوى الصبر مجبنةً

مستعصِمين بحبلٍ منه موهون

والصبر ما انفكَّ مرداةً لمحترِبٍ

ومستميت ، ومنجاةً لمسكين

يا دجلةَ الخير والدنيا مُفارقةٌ

وأيُّ شر بخيرٍ غير مقرون(٩)

---

(٩) في هذه القطعة بأبياتها الخمسة توضيح لفلسفة الخير والشر وتلازمهما فلا شر الا ومعه خير ولا خير مأمون من شر حتى طهر الملائك نفسه مقارنا برجس الشياطين ليبدو وكأنه نتيجة منطقية له

ويتمثل الشاعر في معرض أوضاع الوطن العراقي بالذات تمازج الخير والشر أيضا فيقول ان ردود الفعل المتوقعة لما فيها من تدن وشرور وظلم وألم واغتصاب واضطهاد وما عداها من شرور ، ستكون خيرا عن ضير وحسنا عن قبح ، وفجرا عن ضلالة ،

وأي خيرٍ بلا شرٍ يُلَقِّحه
طهرُ الملائكِ من رجس الشياطين
يا دجلة الخير: كم مِن كنز موهَبَةٍ
لديك في «القمقم» المسحورِ مخزون
لعل تلك العفاريتَ التي احتُجِزتْ
محمّلاتٌ على أكتاف «دلفين»
لعلَّ يوماً عصوفاً جارفاً عرِماً
آتٍ فترضيك عقباه وترضيني

وان هناك من المواهب المكبوتة والقابليات المتحفزة والتفجرات المتوقعة ، وكأنها ما تنطوي عليه « القماقم » المسحورة فى قعر البحار والشطوط وفى « دجلة الخير » نفسها ما يصح أن يكون ـ وهو خير ـ وليد تلك الشرور الطاغية ، قدر ما انه عاصف بها مدمر لها ، طائح بأركانها

وان هذه المواهب العاصفة ، التى هي عفاريت مسحورة فى «قماقم» مدخورة ستقذف بها موجات الثورات والانتفاضات ،كما تقذف « الدلافين » فى عرض البحار بالغارقين ، والضائعين فى أمواجها الى شواطىء السلامة و«الدلفين» حيوان بحري ضخم" تنسج حوله الاساطير فى قدرته الفائقة من جهة ، وفى حبه الخير والنجدة من جهة اخرى

يا دجلةَ الخيرِ إنَّ الشعرَ هدْهدةٌ

للسمع ما بين ترخيمٍ وتنوين(١٠)

عفواً يردِّد في رَفْهٍ وفي عَلَلٍ

لحن الحياة رخيّاً غير ملحون

يا دجلةَ الخير: كانَ الشعر مُذْ رسمت

كف الطبيعةِ لوحاً ، سِفْرَ تكوين

مزمار داود أقوى من نبوّته

فحوى ، وأبلغ منها في التضامين

يا دجلةَ الخير لم نُصحب لمسكنةٍ

لكن لنلمس أوجاع المساكين(١١)

---

(١٠) الهدهدة مناغاة الطفل لينام وهي أيضا ترجيع الطائر لهديله وغنائه ، والترخيم ـ وهو من رخامة الصوت ـ والتنوين وهو تقريب الحركة على الحرف الاخير من الكلمة الى « النون » ـ من المصطلحات فى النحو والصرف العربيين ومن ملطفات « الكلمة » فيه

العفو خيار الشيء وأطيبه واصفاه والرفة والرفيه ـ من الرفاهة والرفاهية ـ فى شرب الماء أخذك اياه على مهل وهون ومثله العلل » وهو من التعلل والتمهل

(١١) اصحب تابع وطاوع والقطعة حتى البيت

دين لزام ، ومحسود بنعمته من راح منهم خليصا غير مديون

هذي الخلائقُ أسفارٌ مجسَّدةٌ

المُلهمون عليها كالعناوين

تصوير لروعة الشعر اذ يستكمل عناصره الاصيلة من السماحة والاشراق حتى ليشبه الهدهدة فى نغمه والترخيم والتنوين فى مخارج حروفه ، وصفاء ديباجته ، ولطف ايقاعه ، وعفوية الاداء فيه وتبيين انه منذ الازل ومنذ أن رسمت كف الطبيعة أول لوحة من ألواحها بمثابة سفر تكوين تفتتح به الحياة وتتعاطف فيه الكائنات

وان مزمار النبي داود ـ ذو المزامير ـ كان دليلا خالدا وعنوانا أبديا على تبريز الهامه والتعريف بنبوته حتى لهو أقوى من كل مظاهرها فى فحوى ما يؤديه ويلهمه وأبلغ منها فى مضمون ما ينطوي عليه

ويخرج الشاعر من ذلك الى التلميح بأن الشعراء الموهوبين « الاصيلين » تجسيد أصيل لما يعتمل فى صدورهم من خلجات وأحاسيس وفى نفوسهم من تجاوب مع الحياة ومن تعاطف على الخير، وانهم اذ يبدون وكأنهم هينون لينون فليس مرد ذلك الى ضعف أو مسكنة وانما هو من تأثرهم بأوجاع المساكين المظلومين ومن تلمسهم أوجاعهم

والا فهم اذ يحسن تصنيفهم بمثابة العناوين على كل الخلائق اذ هي بمثابة الاسفار والمؤلفات مجسدة تمشى على قدم وان هؤلاء الشعراء الملهمين لتشع فى ضمائرهم ـ عند حلك الخطوب ـ أضواء الحروف الخيرة وكأنها سراج ينير درب البائسين ويبدد الظلام عن أطرافهم

وان ذلك ليس منة منهم على الآخرين ولكنه « دين لزام » فى أعناقهم ، والسعيد منهم من قضى نحبه وهو براء فى ذمته خليص من دينه هذا

اذا دجا الخطبُ شعَّت في ضمائرهم
أضـواء حرفٍ بليل البؤس مرهـون
دَيـنٌ لـزامٌ ، ومحسـودٌ بنعمتـه
من راح منهم خـليصـاً غـير مديون

* * *

يـا دجلـة الخـير ما أبقيت جازيـةً
لم أقضِ عندى منها دَيـن مديـون(١٢)
ما كنتُ في مَشْهدٍ يـعنيك مُتَّهمـاً
خِبّاً ، ومـا كنـتُ في غيب بظِنّـين
وكان جرحك الهامي مشاركَةً
وكـان يأخـذُ من جرحي ويـعطيني

---

(١٢) فى هذه القطعة حتى البيت
وحمليه بحيث الثلج يغمرني دفء «الكوانين» أو عطر«التشارين»
استمرار للقطعة السابقة فى معرض مناجاة الشاعر لدجلة الخـير وتأكيده انه كان وفيا لها براً بها سواء ذلك فى مشهد منها أو فى مغيب عنها وانه كان يتعاطى واياها جرحيهمـا مشـاركـة ومقاسمة وان جرحها كان الهاما له وانه كان يمد هذا الجرح بمثله فكانت تتقبله منه لتهبه بدلا منه باعثا على القول وحافزا ملهما للتفجر من جديد

وكانَ ساحُكَ من ساحي اذا نزلت
به الشدائد ، أقريه ويَقريني

حتى الضفادع في سفحيك سَارِيةً
عاطيتُها فاتناتٍ حبٍّ مفتون(١٣)

غازلتُهن خليعاتٍ وانْ لبست
من الطحالب مزهو الفساتين(١٤)

(١٣و١٤) وهذان البيتان اشارة وتلميح الى القطعة الشعرية من قصيدته « المقصورة » الشهيرة التى يصف فيها مرح الضفادع فى شواطىء دجلة متغزلا بها ، معجبا بألاعيبها ونحن نورد هذه القطعة امتاعا للقراء ، واتماماً للفائدة

سلام على جاعلات النقيق — على الشاطئين بريد الهوى
لعنتن من صبية لا تشيخ — ومن شيخة دهرها تصطبى
تقافز كالجن بين الصخور — وتندس تحت مهيل النقا
حلفت بمن راءكن الحياة — سمحاء أبدع ما ترتأى
والبسكن جمال الغدير — من صاف منكن أو من شتا
لانتن من واهبات البيان — جمالا ومن محييات اللغى
على انها لغة ثرة — عواطفكن بها تمترى
لقد عابكن بما لا يعاب — فدم بخلق جميل زرى
بسمع ينادم ركب الخلود — ويحسن للخاطبين القرى
يدل على الماء من ضله — ويرفع وحشة ليل طخا
كأن بعينيك ياقوتتين — صاغهما جوهرىّ جلا
ولو لم يخبر بريق النبوغ — بعينك عن مثل سفع الذكا
لنم الجحوظ على شاعر — بعيد الخيال عنيف الرؤى

يا دجلة الخير هلاً بعضُ عارِفَةٍ

تُسدي اليَّ على بُعدٍ فتجزيني

يا دجلة الخير مَنِّيني بعاطفة

وألْهِميني سلواناً يُسَلِّيني

يا دجلةَ الخيرِ خلّي الموجَ مُرتفقاً

طيفاً يمرُّ وان بعض الأحايين

وحمّليه بحيث الثلج نغمرني

دفءَ «الكوانين» ، أوعطرَ «التشارين»

* * *

يا دجلةَ الخير يا من ظلَّ طائفُها

عن كل ما جلت الأحلام يُلهيني(١٥)

---

(١٥) فى هذه القطعة وصف قوى حاد للاطياف المرعبة التى كانت تضغط على السيد الجواهري فى نومه فى السنة الاولى من تغربه عن العراق وكأنها الكوابيس فهو فى الصورة الموحشة الاولى منها يستيقظ مرعوبا من طيف كان يتحرق فيه بأتون ، ولشدة تركز هذا الكابوس وتمكنه فانه لا يصدق ــ وهو يقظان ــ انه نجا من هذا الاتون حتى انه ليجس أطرافه بكلتا يديه تأكدا من انها لم تحترق

وفى الصورة الثانية فانه يستريح ــ يقظانا ــ الى كوب من ماء

لـو تعـلمـين بـأطيـافي ووحشتـهـــا

ووددت ِ مثلي لو أنَّ النـومَ يجفـوني

أجس يقظـانَ أطـرافي أُعـالجهـــا

ممـا تحرَّقت في نـومـي بأُتُّـــون

وأستريـح الى كـــوبٍ يُطَمِّنُني

أن ليس ما فيـه مِن مـاءٍ بغِسـلـين

وألمس الجـــدُرَ الـدكنـاءَ تخبرني

أنْ لستُ في مهمـةٍ بالغِيل مسكون

يا دجلـةَ الخـير خلِّيني ومـا قسمت

لي المقـاديـرُ مـن لـــدغ الثعـابـين

الطالحـاتُ فمـــا يبعثْنَ صالحـــةً

ولا يُبعثـرن ِ الاَّ كـــلَّ مـأفـــون

قراح ، ذلك انه كان فى منامه يشرب من «غسلين» ، وهو الماء الشديد الحرارة وفى الاصطلاح الدينى ما يسيل من جلود الكافرين فى الجحيم لدى العالم الآخر

وفى الصورة الثالثة : فهو وقد كان فى منامه يتخبط فى قفر موحش يعج بالاغيال والوحوش يكاد لا يصدق ـ وقد استيقظ ـ انه مستيقظ • فهو يتلمس الجدران الداكنة المحيطة به فى ظلام الليل تأكدا من انه حي يقظان

والراهنـاتُ بجســمي ينتبشن بــه
نبشَ الهـوامِ ضريحـاً كلَّ مدفـون

* * *

واهـاً لنفسيَ من جمعِ النقيضِ بهـا
نقيضَــه جمْــع تحـريكٍ وتسكـين(١٦)
جنبـاً الى جنـب الآمٍ أقطفُهــــا
قطْف الجياع جنى اللذّات يزهوني

---

(١٦) الحرف الاخير فى الكلمة العربية أما أن يكون محركا أو أن يكون ساكنا أما أن يجمع الاثنين فى آن واحد فمن المستحيل ولكن الشاعر فى هذه القطعة يتحدث عن جمع نفسه النقائض فهو فى الوقت الذى يكون منهمكا فيه بتجميع الآلام وقطفها كما يقطف الجياع الثمر من على الشجر فانه يبزها بجني اللذة وثمرها

وهو الى ذلك يركب الخطر والهول في أشد أوقاته أمنا ذلك ان حبه الحياة يحمله على المجازفات والمغامرات وكأنمـا هـو بذلك يغرية على الموت وهو يشبه هذه الاخطار بالغول الـذى يركبــه و « يتسنّمه » كيفما اتفق سواء رمى به الى الهوى ، جمع « هوة » أم انزله على « الواحات »
وفى الابيات الثلاثة الاخيرة يقول ليست البطولات أساطير أمجاد ولكنها خلاصة تماس بالاحداث وتمارس بالظروف وامعان فى هذه وتلك ، وتمرن عليها وان المرء لا يولد لا جبانا ولا شجاعا وانما يمر بالتجارب والعبر فيخرج منها بعصارة هى كل قوته على منازلة الايام

وأركبُ الهولَ في ريعانِ مأمنةٍ
حبُّ الحياةِ بحبِّ الموتِ يغريني
غُولاً تسنَّمتُ لم أسألْ أكارعَه
الى الهوى ، أمْ على الواحات ترميني
وما البطولاتُ اعجازٌ وانْ قنعت
نفسُ الجبانِ عن العلياء بالْهون
وانَّما هي صفوٌ منْ مُمارَسَةٍ
الطارئات ، وامعَانٍ ، وتمرين
لا يولَدُ المرءُ لا هرّاً ولا سُبعاً
لكن عصارة تجريبٍ وتلقين
يا دجلة الخير كم معنىً مزجت له
دمي بلحمي في أحلى المواعين(١٧)

(١٧) فى هذه القطعة حتى البيت

والميتين وقد هيضت ضمائرهم بواخز معهم فى القبر مدفون

يسترسل الشاعر فى وصفه المعاناة الشعرية التى تمخض بها بين الفترة والفترة فيقول انه يمزج المعاني التي تعرض له فى القصيدة بدمه ولحمه ـ أى انها تصبح قطعة من كيانه ـ ثم يحاول

ألفيته فَرْطَ ما ألوى اللواةُ به

يشكو الأمرَّين من عَسْفٍ ومن هون

صبها فى أحلى القوالب ، والمواعين جمع « ماعون » الآنية التى يفرغ فيها الطعام

وفى البيت الثانى يشكو مما يعبث الكثيرون من دعاة الشعر والشاعرية بالمعاني والالفاظ ،ومما يلوون – أي يميلون ويزيفون – بها وان الشعر يشكو من ذلك الامرين العسف والجور ثم المهانة والتدني

واجره الشوك أى جره عليه والضمير هنا عائد على الشعر والفاعل « الفاظ » ومرصفة مرتبة مصفوفة والضمير فى « اجرها » فى عجز البيت عائد الى « الفاظ » والمعنى ان ذلك النوع من الشعر المتكلف – السابق – يغدو وكأنه مسحول سحلا على وخز الاشواك فألفاظه لا تنهض بمعانيه ، وقوافيه لا تنهض بهما معا فهو لذلك مكلف مصنوع بالعنت والاسفاف

« ليل أخي ذبيان » نسبة الى النابغة « الذبيانى » ، وانما نسبه الليل اليه لمطلع قصيدته الشهيرة الجميل فى آل جفنة ملوك الشام

كليني لهم يا اميمة ناصب و « ليل » اقاسيه بطيء الكواكب

أى ان الشاعر يسهر – وهو يعاني خواطره الشعرية – ليلا طويلا ساهرا كما تحضن الامهات الرواضع ولائدها تارة بالمسايرة والمجاراة وتارة بالغضب والثورة

– معنى البيت التالي له انه – الشاعر – يعكف على هذه الخواطر عكوف الخالق المبتكر الذى يعيد ويصقل فى مخلوقه ليصنع منه مثالا كاملا وانه وهو يسهر الليل على هذا التكوين ليحس وكأنه

أجرِه الشوكَ الفاظٌ مُرَصَّفَةٌ
أجرَّها الشوكَ سجعٌ شِبهُ موزون

سهرتُ ليلَ « أخي ذبيان » أحضنه
حضْنَ الرواضعِ بين العتِّ واللين

أُعِيد من خلقه نحتاً وخَضْخضةً
والنجمُ يعجب من تلك التمارين

حتَّى اذا آضَ ريَّانَ الصِبا غَضِراً
مهوى قلوبِ الحسانِ الخرَّدِ العِين

أُتاح لي سُمَّ حيَاتٍ مُرَقَّطَةٍ
تدب في حمأٍ بالحقد مسْنون

النجم فى السماء يعجب من كثرة هذه التمارين التى يتعاطاها

ـ وفى الابيات التالية للبيت السابق من القطعة حتى آخرها يعرب الشاعر عن اله العميق وثورته العارمة على حساده الذين شبههم بـ « حيات مرقطة » تعيش فى « حمأ مسنون » وهو الطين القذر النتن وبالغربان التى تنهش اللحوم وبالعراة الذين يتسترون على عريهم الروحي والادبي بشتمهم الآخرين ويتمثل عليهم بما تسترت به « حواء » عند خروجها من الجنة بورق التوت ، ويقول عنهم انهم « عائشون » على الهوامش من أهواء حاقدة ورغائب خسيسة ، ثم انهم ليموتون عن ضمائر مهيضة ذليلة ، تدفن معهم مليئة بالوخزات

فهل بحسبِ الليـالي من صدى ألمي
أني مَضيفَـةُ أنيـابِ السـراحـين
الآكلـين بلحمـي سـمَّ أغـرُبَتٍ
وغُصـةً في حَـلاقـين الشـواهـين
والساترينَ بشتمي عرْيَ سـوأتِهم
كخصف حوّاء دوحَ التُوتِ والتين
والعـائشـين عـلى الأهـواءِ مُنـزلةً
عـلى بيـان بـلا هـدي وتبيـين
والميِّتين وقـد هيضت ضمائرهـم
بـواخـزٍ معهـم في القبر مـدفـون

* * *

صنّاجةَ الأدبِ الغالي، وكم حقَبٍ
بها المواهب سِيمتْ سوْم مَغبون(١٨)

---

(١٨) القطعة استمرار للسابقة وفيها يخاطب الشاعر ـ من باب التجريد ـ نفسه ويهون عليها ما تلقاه من جحود الجاحدين وحقد الحاقدين ، وحسد الحاسدين ويقول لها انها وهى تنزل « السور اللاعنة » على كل رواسب المجتمع وعقـده ومضـاعفاتـه وعـلى هياكله

ومَنْزِلَ السوَرَ البتراءَ لاعِنَـةً

من لـم يكن قبلهـا يومـاً بملعـون

جوزيتَ عنهـا بما أنت الصليُّ بـه

هـذا لَعمري عطـاءٌ غـيرُ ممنون !!

مـاذا سـوى مثـلِ مـا لاقيت تأملـه

شـمُّ العرانـين من جدع العـرانـين

حامي الظعـائن لاحمـدٌ ولا مِقَـة

وقـد يكون عـزاءً حمـدُ مظعـون

وأصنامه فى كل ا لمجالات والميادين لجديرة أن تتلقى بصبر وترفع الجزاء الذى يتوقعه الثائرون الاحرار

بل وانها ليجب عليها أن لا تتوقع الا هذا فهو ما ابتلى به على كر الدهور الشامخون الصاعدون ـ وكنى عنهم بـ « شم العرانين » جمع « عرنين » ـ وهو ما صلب واشتد من عظم الانف ـ ويكنى بها عن شدة العزة والانفة

ـ ويقصد بـ « حامي الظعائن » الطليعة ، والرائد تشبيها له بحماة الظعائن من العرب فى الجاهلية وهم الذين يحمون النسـاء فى هوادجهن والمعنى انه لا يتلقى حمداً على أتعابه الفكرية والادبيـة ما يتلقاه حامي الظعينة من ظعينته

الديات جمع « دية » وهو ما كان ـ وما يزال ـ يدفع من مال أو حلال تعويضا عما يلحق بالجرحى أو القتلى أو المتضررين والابكار هنا النوق الصغار والعون الكبار

لمن ؟ وفيم ؟ وعمن أنت محتملٌ
ثقل الديات من الأبكار والعون ؟

* * *

ويا زعيماً بأن لم يأته خبرٌ
عما يُنشَّر من تلك الدواوين(١٩)

---

(١٩) في هذه القطعة حتى البيت

لابد معجلة كف الخراب به بيت يقوم على هذى الاساطين

وفى القطعة التالية لها حتى البيت

شلت يداك وخاست ريشة غفلت عن البلابل في رسم السعادين

نقد وتجريح لاساطين « النقد » العربى المزعومين والذين يخضعون النقد والتحليل ــ وهما أعلى مراتب الادب ــ الى عوامل خارجة عنه ، غريبة عليه فباعث حب أو كره لشخص وآخر تارة ، وباعث تعصب مقيت ذميم وباعث اقليمي ، وآخر سياسي ، وباعث جمود فكرى ، وباعث عقد نفسية تارات اخرى

وهناك باعث آخر لا يقل عن تلك تأثيرا ان لم يزد عليها وقد يلتقي معها أيضا وهو ما يجده هؤلاء المتصدرون مدارس النقد ومجالسه من صعوبة وعناء في تناول الشعر الذى يحتاج أكثر من غيره ــ لمتانته ، وعمقه وبعد الغور من فكرته وموضوعه ــ الى تفرغ ، وتمعن وفرط المام ، وبعد نظر فهم والامر على هذه الشاكلة يخونون الامانة ويتهضمون الرسالة ويهينون الفكر فى تخطيهم الشعراء الاصيلين وفى تجاهلهم اياهم وفي طمسهم آثارهم الشاخصة وهم يزدادون افتضاحا فيما يضمرون ويعلنون عندما يفرطون فى

لك العمى ومتى احتجّت بأن قعـدت
عـن المـوازيـنِ أربـابُ المـوازيـن

تناول الدرجات النازلة من الشعر والشعراء بالبحث وبالنقد وبالتحليل وبالتنويه أيضا فكأنهم نسب متنازله يفتضح أمـــر بعدها عن المراتب المتصاعدة بقدر انحدارهم عن ســلالـم الشعـر والشعراء الاولين

وهذه الطبقة تجرم ـ بالاضافة الى كل تجرماتها ـ الى الاجيـــال الناشئة فى المجتمعات العربية فيما تشوش عليهم من تضييع المقاييس وترجيح الموازين ، وفيما تطبع على أذهان الكثيرين من الشباب العربي البرىء من طابع التجهيل وميسم التغفيل وفيما توجههم الوجهة الظالمة وتركز فى نفوسهم الانحراف الادبي والفكرى وتدفعهم بدوافع الكفر والعقوق

وفى الحقبة الاخيرة من هذا العصر ـ والى ذلك يشير الشاعر فى مطلع هذه القطعة ـ كثر تساؤل المتسائلين من طلائع الفكر العربي الخلاق ورواد الشعر الاصيل عن هذه الطبقة من ادعياء مدرســة النقـد من ذوى الشهرة الخاطفة وعن مواقفهـا غـير الامينـة فيمـا تؤلف وتنشر، وتذيع. وتوجه بعض المتسائلين هؤلاء الى هذا الناقد منهم أو ذاك عن هذه البادرة فكان جواب البعض منهم أسخف من فعله وأكثر تفاهة وهو انه ـ أو انهم ـ لم يطلعوا على هذا الديوان أو ذاك من شعر هذا الشاعر أو ذاك وهم يريدون بذلك ما تعودوه من شعراء ناشئين أو مبتدئين ـ أو شعراء أعلى من هؤلاء من طـلاب الشـهرة وعشاق الضجيج ـ وهو أن يتلقوا منهم دواوينهم مرسلة بالبريد ، مهداة اليهم وهم فى صالوناتهم فما لم يصل اليهم عن هذا الطريق الهين المريح فلا يدخل فى نطاق مهامهم حتى وان كان ذلك الديوان ، أو ذياك لمن طبقت شهرتهم الآفاق فكأنهم ـ كما يخادعون ليسوا بمسؤولين أن يراجعوا ، ولكن أن يراجعوا ولا أن يسعوا ولكن

بل قد مشت لك كالاصباح عابقةً

وأنت تحذرها حذرَ الطواعين

كفرتُ بالعلم صِفْر القلب تحمله

للبيع في السوق أشباهُ البراذين

أن يسعى اليهم ولا أن يكتبوا أو يراسلوا ولكن أن يكاتبوا ويراسلوا

لقد حمل العبقرى الخالد « الخطيب التبريزى » جرابه على كتفه ماشيا طيلة أربعين ليلة حتى ورد على « أبى العلاء المعرى » ليستمع اليه ، ويدون عنه ، ويشرح ديوان شعره ، وبعد الف وخمسين يعتذر أساطين النقد العربي المدعون بأنهم لم يتسلموا هذا الديوان أو ذاك وهم متكئون على الوسائد الوثيرة فلذلك هم معفوون

فى هذا المورد من القطعتين المتلازمتين يستعرض الشاعر كل ذلك ، ويرد عليه ويحمل المجتمعات الفكرية والادبية وزر هذه الطبقة ويوجز مردات مواقفهم بارجاعها الى موت الضمائر واندثار الذمم وهو يشبه ميادين النقد الخائن والسفساف ، هذا بالملاحم غير المتكافئة ، والتى يجهز بها النقاد المزعومون بما لهم من أسلحة فتاكة من القاب وكنى وصحف منشرة ودعايات رائجة على زيفها على عبقرى وآخر وخنذيذ وخنذيذ ومجلى وسباق ومن هؤلاء الضحايا من يصمد لكل ذلك ــ وهو النادر ــ ومنهم من يعالج النزع الاخير ، ومنهم من يموت قبل أوانه

وهو يشبه هذا النفر الناقد الحاقد بالرسام الذى يتعمد أن لا تمر ريشته على بلبل غريد ترسمه كرها لها وان تتخطاه الى قرد من « السعادين »

كانت عباقرةُ الدنيا وقادتُها
تأتي المورّق في أقصى الدكاكين
تلم ما قد عسى أن فات شارده
عنها ، ولو كان في غُيَّابة الصين
لهفي على أمَّةٍ غاض الضميرُ بها
من مدّعي العلمِ ، والآدابِ ، والدين
موتى الضمائر تُعطي الميتَ دمعتها
وتستعين على حيٍّ بسكّين
لابدَّ معجِلةٌ كفُّ الخراب به
بيتٌ يقوم على هذي الأساطين

* * *

جُب أربعَ النقد، واسأل عن ملاحمها
فهل ترى من نبيغٍ غيرَ مطعون
وقف بحيثُ ذوو النزعِ الأخير بها
وزر قبورَ الضحايا والقرابين

ـتـر الفطـاحل في قتـلٍ على عمـــدٍ

هـمُ الفطاحل فى صـوغ التآبـين

مِن ناكر علماً تُهدى الغـواة بـــه

حتى كأن لم يكن في الكاف والنون

أو قـــارنٍ باسـمه خُبثـاً وملأمـــةً

مـن ليس يومـاً بضِبعيه بمقـــرون

تشفـّيـاً اِنَّ لمـحَ الفكـر منطلقـــاً

قـذىً بعـين دعيٍّ الفكـر مأفـــون

عادى المعاجمَ وغـدٌ يستهـين بهـــا

يُحصـى بهـا « أبجدياتٍ » ويعدوني

شُلَّت يداك وخاست ريشـةٌ غفلـت

عـن البـلابـل في رسـم السعـادين

* * *

يـا دجلةَ الخـير ردّتني صنيعتهـــا

خوالجٌ هُنَّ من صنعي وتـكـويني(٢٠)

---

(٢٠) معنى البيت ان الشاعر يحس نفسه صنيعة لاحاسيس وخلجات ،

ِان المصـائب طوعـاً أو كراهيــةً

أعـدن نحتي ، كمـا أبدَعْن تلويني(٢١)

أرينني ان عندي من شـوافعهـــا

اذا تبـاهى زكـيٌّ مـا يـزكّينـي(٢٢)

وجب شتَى مقاييسٍ أخـذت بهـا

مقيـاس صبرٍ عـلى ضرٍّ وتوطـين(٢٣)

ونبضات فكرية كان يتوهم انها كلها من صنعه وتكوينه أى انه فى الحقيقة كان مسخرا لها فى ابتعاثها من مراقدهـا نازلا عـلى حكمها وارادتها فى الانبعاث ، متأثرا بها ، متفاعلا واياها بعد ذلك ٠

(٢١) معناه ان المصائب بما يثرنه من تجاريب ومن خبر وعبر تعيد من « نحت » المرء وتحسن من « تلوينه » ومن تكوينه

(٢٢) هذا البيت تخريج عن السابق ومعناه ان تلك المصائب كانت خير شفيع ، وأحسن مزك له يوم يتبارى المشفعون ، ويتسابق المزكون ٠

(٢٣) معنى البيت وتاليه ان الشاعر يجد مقياس الصبر والصمود على الازمـات والمحن فى الطليعـــة من كل مقـاييس الرجـولة وتكوين الشخصية

حتى انه ـ نتيجة منطقية لذلك ليعد معيار التفاضل و « المباهاة » بين الناس ـ وبخاصة بينه وبين غيره ـ هو مدى قدرته هـو عـلى معاناة خصائص البؤس والحرمان والانتفاع بعواقبها ومدى قدرة الآخرين على معاناة « النعمة » والبطر وتحمل أوزارها

وراحَ فضلُ الذي يبغي مباهلتي

نعمى تعنّيه ، من بؤسى تعنيني

* * *

يا دجلةَ الخيرِ شكوى أمْرها عجب

انّ الذي جئت أشكو منه يشكوني[٢٤]

ماذا صنعت بنفسي قد أُحقت بها

ما لم يحقه بـ «روما» عسفُ «نيرون»

ألزمتها الجدّ حيث الناس هازلةٌ

والهزلَ في موقفٍ بالجدّ مقرون

وسمتُها الخسفَ أعدى ما تكون له

وأمنع الخسفَ حتى من يعاديني

---

(٢٤) في هذه القطعة حتى البيت

ما اضيع الماس مصنوعا ومنطبعا حتى لدى أهل تمييز وتثمين

يستعرض الشاعر نفسه بشيء غير قليل من الصراحة ، وينقدها ، ويحملها هي تبعات ما الزمت به نفسها ، من تصورات خاطئة للحياة ، ومن تشدد في اعطاء المفاهيم ، والمقاييس ، والمعايير الحياتية ، أكثر مما تتطلبه من قيود وحدود ، وانه كان في ذلك وفي غيره بمثابة « نيرون » الطاغي ، حتى لكأن نفسه وما أحاق بها كانت « روما » المحترقة

وَرحتُ أظمي واسقي من دمي زُمَراً
راحت تُسقّي أخا لؤمٍ وتُظمِيني

وقلت بالزهدِ أدرى أنّه عَنَتٌ
لا الزهدُ دأبي، ولا الامساكُ مِن ديني

خَرط القتاد أمنّيها وقد خُلِقتْ
كيما تنام على وردٍ ونسرينِ

حراجةٌ لو يُرى حمدٌ يرافقها
هانتْ وقد يدّرى خطبٌ بتهوينِ

لكنْ رأيت سِماتِ الخيرِ ضائعةً
في الشرِّ كاللثغ بين السينِ والشينِ

ما أضيعَ الماسَ مصنوعاً ومنطبعاً
حتى لدى أهل تمييزٍ وتثمينِ

* * *

يا دجلةَ الخير هل أبصرتِ بارقةً
القت بلمحٍ على شطّيكِ مظنونِ ؟(٢٥)

---

(٢٥) معنى البيت وما بعده هو تلميح الى الغموض والشك والحيرة التي

تُلكم هي العمرُ ومضٌ من سَنى عدمٍ
ينصبُ في عدمٍ في الغيب مكنونِ

تحيط بفلسفة الموت « والعدم » والشاعر يشبه العمر الذى ينبعث من مجهول وينتهي الى مجهول بالبارق الذى يلمح التماحا خاطفا على شطآن دجلة لينطفىء فى لججها وكأنه ومض من ومضات الشك يغوص فى لجة الغيب

وفى البيتين الآخرين امعان فى الارتياب بالحقائق المجردة بحيث ان الشاعر يتساءل ـ مرتابا ـ عما اذا كان فيما وراء انجلاء الشكوك ، والريب ، حقيقة تلمع خالصة دون مزاج من التلميحات والتخمينات ؟

ام ان هذه الشكوك حتى اذ هى تبدو وكأنها قد انجلت وتوضحت ما تزال خليطا من أوهام وتخيلات وتخمينات على حد سواء مع اللون الغامق ـ كالالوان « الجون » بضم الجيم جمع جون بفتحها وهو **اللون الاخضر ، الذى يميل لاشتداد خضرته الى السواد والى السمرة** الغامقة والى ما بين هذا وذاك من الوان
والابيات التالية حتى البيت

لم يوهب الفكر قانونا يحصنه من الظنون ، ومن سخف القوانين

تصوير وتلوين لشتى الهواجس والظنون التى تتراوح بين الشك واليقين فيما تتمخض به نفس الشاعر من محاولة لمعرفة ما اذا كان قوام الحياة الدنيا هو الرغد ، أم القناعة والكفاف ، أم العزوف عن كل ملذاتها

وهو يستشهد على ذلك بأنه يشتهي ـ حينا ـ ان تكون له كنوز قارون ويكدر عليه مشتهاه هذا عدم كفاية هذه الكنوز كلها لكي يكون المرء سعيدا بها
ثم يعدل عن ذلك الى الاستخفاف بها وبالمال والبسطة فى العيش فيذكره ذلك ان « الخصاصة » والفقر فيما يجرانه على الانسان من

يا دجلةَ الخير هل في الشكّ منجلياً

حقيقــةٌ دون تلميــحٍ وتخمــينِ ؟

أم خــولطت فيــه أوهــامٌ وأخيلـةٌ

كمــا تخــالطت الألوان في الجــون

أكــاد أخرج من جلدي اذا اضطربت

هـواجسٌ بــين ايقــان وتظنــين

أقـول لو كنزُ قـارونٍ وقـد علمتُ

كفَّاى أن ليس يُجدي كنُز قـارون

تعاسة الحياة وذل الاحتياج تشبه « السرطان » القتال الذى يتأكل جسد الانسان وروحه معا

ثم يشيح عن ذلك الى القول بالاخذ بالكفاف وبالقناعة فيصدمه « رحب الحياة » وانفساح مجالات التصرف ، وتوسع آفاق التذوق ، والترفه والراحة فيها بينا يكون « الكفاف » فى هذه المنطلقات الرحبة أشــبه شــيء بأقوات « المساجين » فى ســوحهم الضيقــة ، ودروبهم المسدودة ، وهويطلب تخلصا من كل هذه الظنون والهواجس المربكة للمرء فى حياته أن يتوسع الفكر البشري الى درجة تتخلص معه وتتقلص كل « القوانين » الراهنــة فى هــذا العالم ، والمليئــة بالسخف وبالظلم ، والرزاحة هى نفسها تحت أعباء الشكوك ، وأثقال الظنون وكوابسها

أقـول مـا كنزُ قـارون ، فيدمغني
أنَّ الخَصاصةَ من بعض السراطـين
أقـول ليت كفافـاً والكفافُ بـه
رحب الحيـاةِ ، وأقواتُ المساجـين
أقـوُلهـنَّ وعنـدي علمُ ذي ثقــةٍ
ان ليس يـؤخـذ علـم بـالأظـانين
وانَّما هي نفسٌ هـم صاحبهــا
أنْ لا تُصدِّق مدحوض البراهـين
لـم يوهب الفكرُ قـانونـاً يُحصنـه
من الظنـون ، ومن ســخف القوانين

* * *

يـا نـازحَ الـدارِ نـاغ العـود ثانيـةً
وجِس أوتـاره بـالـرفـق واللــين(٢٦)

(٢٦) فى هذه الابيات الثلاثة من القطعة يرقق الشاعر من « وتر الشعر » ومن « أنغامه » راجيا من ذلك أن تستل هذه « النجوى » المتطاحنة «الحزازات» من صدور تغلي بها الحزازات عن غير ما سبب ، وبدونما طائل ، وان تخفف هـذه « المناغاة » السمحـة من « حمى » نفوس حاقدة « متعنترة » ، مطبوعة على القسوة ، والغلظة
و « صفين » و « حطين » من المعارك الاسلامية الشهيرة

لعل نجوى تُداوى حرَّ أفئدة
فيها الحزازاتُ تَغلى كالبراكين
وعل عقبى مناغاةٍ مُخفّفةً
حمى عناتر « صفينٍ » و « حطينٍ »
ويا صدى ذكرياتٍ يستثرن دمي
بهِزَّةٍ جمَّةِ الألوان تعروني
أشكو المرارةَ من اعناتِ جامحةٍ
منها الى سمحةٍ برٍّ فتشكيني
مثلَ الضرائرِ هذي لا تطاوعني
فأستريح الى هذى فتُؤوينى

* * *

ويا مَقيلاً على غربيِّها أبداً
ذكراه تعطف من عودي وتلويني(٢٧)

---

(٢٧) المقصود بـ « المقيل على غربي دجلة » البيت الذى كان يقيم فيه السيد « الجواهري » سنين عدة فى جانب الكرخ ، وهو يطل اطلالة رائعة على دجلة فى أوسع دوائرها ومن أجمل مواقعها وفى هذا العش الجميل « قضى الشاعر أجمل وأهنأ فترة مرت عليه من حياته ،

عشُّ الأهازيجِ من سجعي يردِّدها
سجعُ الحَمامِ وترجيعُ الطواحين

جمعا لشمل وكفافا فى العيش ووفرة فى الانتاج هى فى جملتها عيون من أشعاره

ففيه أخرج خلال الاعوام الخمسة حتى عام ١٩٤٧ الى النور قصيدة « ستالينغراد »

نضت الروح وهزتها لواء وكسته، واكتست منه الدماء

وقصيدة « دجلة فى الخريف »

بكر «الخريف» فراح يوعده ان سوف يزبده ، ويرعده

وقصيدة « المقصورة »

برغم الآباء ، ورغم العلى ورغم كرام انوف الملا

وقصيدة « جمال‌الدين الافغاني »

هويت لنصرة الحق السهادا فلولا الموت لم تطق الرقادا

وقصيدة « عدنا وقودا »

ولى شباب فهل يعود ولاح شيب فما يريد

وقصيدة « سواستبول »

يا « سواستبول » سلام لا ينل مجدك ذام

وملحمة « عالم الغد » الشهيرة والطويلة

عالم الغد يا رهين ضباب ودخان من نفثه وعذاب

وقصيدة « أبو التمن » ومنها المقطع المعروف ومطلعه

قسماً بيومك والفرات الجاري والثورة الحمراء والثوار

الى جملة قصائد ومقطوعات كثيرة غيرها

والشاعر فى هذه القطعة حتى نهاية القصيدة يتفجر دما ولحنا ،

وسِدْرةٌ نبعُها خضِدٌ ، وساقيــةٌ
وباسق النخـل معقـوفُ العراجـين

وحرفا وهو يجتر الذكريات العذبة والاحاسيس الحلوة فى دارته هذه فهي « مجمع الشمل » من صحب عزيز عليه فجع به ويريـد بذاك أخاه « الشهيد جعفر » فى وثبة كانون ١٩٤٨ ووالدته التى توفيت فى السنة الاولى من تغربه عن العراق ثم من صحب ابتلى به ، وابتلى بهم وهم أهله وبنوه وذووه العائشون معه حتى الآن
وهو معبر لنسائم «الاصباح» تصفقه الغصون الندية ـ كما تصفق الخمرة اذ تمزج ـ وتسقيها اياه وهى « رؤى أصل » بضمتين جمع أصيل أواخر الغروب وأوائل العشـى تراوحـه وهي « سنى » الشفق الحلو يغاديه
وهي « مداحة » الرمل الممتدة على شواطىء دجلة مرمى بصره ، حيث تلهو بها « اصيبية » تخوض فيها فتلهيه وتؤنسه
وهى ضجة « العصافير المفزوعة » ، فى أكنانها وأعشاشها قبيل الليل اذ تنطلق متزاحمة متصاخبة الى مآويها واذ تؤلف فى ضجيجهـــا منطقا جميلا انيسا ما هو بالفصحى فيفهم ، ولا هو من لطف وقعه ، ورخامة رجعه، بالمبهم الملحون
وفى الشطر الثاني والاخير من هذه القطعة وأوله

ويا ضجيعي كرى أعمى يلفهما   لف الحبيبين في مطمورة دون

يتصاعد صارخا ـ بحزن ولوعة ـ نغم القصيدة وهو يتفجر عن أحر ما انهت اليه تلكم الذكريات وأوجع ما صارت اليه ، بانتهاء حياة أعز مخلوقين عليه
وهما الآن « ضجيعا كرى أعمى يلفهما » معا ورأس الى رأس ، وروحا الى روح فى «مطمورة دون» هوقبرهما الحزين فىمقبرة «آلالجواهري» فى النجف وهو يشتد فى حزنه الى غاية مـا يتصوره الحزين اذ يقول

ومُسْتدقٍّ صخورٍ من مآربها

رؤىً تَظلُّ على الحالين تشجيني

من أنمل الغيد في حسنٍ تُتمِّمه

فإنْ تعرَّتْ فمن أنياب تنيّن

يا مجمعَ الشملِ من صحبٍ فُجعتُ به

وآخرٍ رحت أبلوه ويبلوني

ويا نسائم اصباحٍ تصفّق لي

ندى الغصون بليلاتٍ وتسقيني

ويا رؤى آصلٍ نشوى تراوحني

ويا سنى شفقٍ حلوٍ يُغاديني

ان طيفي هذين الحبيبين لا ينفك أبدا يطيف به ، وانه وقد تراءى له الطيف « ماشيا » اليه على مهل ليحييه وليجدد عهدا به ، فانه ـ السيد الجواهري ـ ليترفع اجلالا لهذا الطيف واعتزازا به من أن يفتح عينيه ليراه اذ ان فى ذلك اضاعة بعض الشيء للرؤية الكاملة ، وانما « يطبق جفنا على جفن » ليراه على حقيقته فى ذهنه ، فى قلبه فى صفاء الرؤية وهي تجمع اليها هذا وذاك حتى لكأن بريق الموت الخاطف المهيب المخيف يعيشه ، فيلجأ الى أن يراه على تلك الشاكلة من الرؤيا

ويـا مَداحـةَ رمـلٍ في مَخاضتهـا
راحـت أُصيبيـةٌ تلهـو فتُلهينـي
وضجّـةٌ من عصافيرٍ بهـا فـزعٌ
عـلى أكنَّتهـا بـين الأفـانـين
ومنطـقٌ ليس بـالفصحى فتفهمـه
يومـاً ومـا هـو من حسٍ بملحـون
لا ضـيرَ كـلُّ أخي عشٍ مفـارقُـه
وأيَّ عشٍّ من البـازي بمـأمـون
* * *
ويا ضجيعَي كـرىً أعمـى يلفُّهمـا
لفَّ الجنيـين في مطمـورةٍ دُون
حسبي وحسبُكما من فرقـةٍ وجوىً
بـلاعـج ضَرِمٍ كـالجمـر يَكويني
لم أعـد أبـواب سـتين ، وأحسبني
همَّـا وقفت عـلى أبـواب تسعـين
يـا صـاحبيَّ اذا أَبصـرت طيفكمـا
يمشـي إليَّ عـلى مهـلٍ يحيـيني

أطبقت جَفناً على جفن لأبصُره

حتى كأنَّ بريق الموت يعشيني

انّي شممت ثرىً عفناً يضمّكما

وفي لُهاثي منه عِطرُ « دارين »

بنوةً واِخاءً حلف ذي ولَعٍ

بتربةٍ في الغد الداني تغطيني

لقد وددتُ وأسرابُ المنى خُدعٌ

لو تسلمان وأنَّ الموت يطويني

قد متُّ سبعين موتاً بعد يومكما

يا ذلَّ من يشتري موتاً بسبعين

لم أقوَ صبراً على شجوٍ يرمّضني

حرّانَ في قفص الأضلاع مسجون

تصعدتْ آهِ من تلقاء فطرتها

وأردفت آهةٌ أُخرى بآمين

ودب في القلب من تاموره ضرمٌ

ما انفكّ يُثلج صدري حين يصليني

بلاغ ...

أوْ

حوار ...

نظمها الشاعر صيف عام ١٩٦٨ ٠٠ قبيل عودته من منفـاه في جيكوسلوفاكيا ، يحيي فيها « براغ » ، ويشيد بجمالها ، وسمو مجتمعها ، وبما تركته في نفسه من انطباعات حلوة ٠٠ وذكريات جميلة ٠

أطلتِ الشوط مـن عُمُري

أطــال الله مـن عمــرِك

ولا بـلّغــتُ بـالشــرِّ

ولا بالســوء مـن خبَــرِك

حسوتُ الخمرَ من نـهَرِك

وذقـت الحلوَ مـن ثمرك

وغنّتني صوادحُك النشاوى

مــن نــدى سـحــرك

ولم يبرح عليّ الظلُّ .. بعد

الظــلِّ مــن شـجــرك

كــلا حـاليـكِ عِشتُهمــا

قـريـرَ العـين في سُـرُرِك

ففي الامســاء مـن خفــرك

وفي الاصبــاح مـن خـدرك

كــأن تنـابــزَ القُبــلات

خفـقٌ من صـدى سـمـرك

وأَحلاماً مهوَّمةً
غلالاتٌ لمؤتزرك
وأعين أنجمٍ حيرى
بها عِوزٌ الى حِورك

* * *

ألا يا مزهر الخُلد
تغنّى الدهر في وترك
ويا امثولةَ اللطف
مشت دنياً على أثرك
ذكا في تربك العطِر
ودب السحرُ في حجرك
فلو صيغت دُنىً اخرى
لما كانت سوى كِسَرك
ولو أنّ المنى خمرٌ
لكانت سؤرَ معتصرك

ولو صوّرتِ كـان الخلـــق

والابــــداع مــــن أطُــــرك

* * *

وقـائلـــة لقـــد غـالَـت

دعـاةُ السـوء في ضجـرك(١)

---

(١) فى هذه القطعة من القصيدة حتى آخرها يجرد الشاعر من نفسه مع نفسه حوارا متواصلا ـ على لسان شخص آخر هو « قائلة » القول المفترضة وفى هذا الحوار يصور أدق تصوير نوازع النفس المختلفة لحد ما يقربه من التناقض فيمـا يبدو للناظر اليهـا عـلى حـدة ، وبسطحيـة وبدون تعمق فى تحليل ولا تمعن فى ارجاعهـا الى اصولها فعلى لسان هذا الشخص « المحاور » المفترض يعدد الشاعر ما يأخذه عليه مثل هذا النفر ذي النظرة العابرة من افراط فى الضجر والقلق ومن زيادة فى نشدان التكامل وفى تطابق الشخصية ومن انه يريد أن تتنزل الدنيا والناس والمجتمعات على الصورة التى يتخيلها هو ، والتى يعيشها بنفسه ، وكذلك فيما يفترضه من الطباع وان فى سمعه رجات تمنعه من الاستقرار على رأي ناقـد وقطعي فيما يسمعه عن الناس ، وعن الاشياء ، وفيمـا يصـدر عن ذلك من أحكام وان رجات مثلها فى بصره تمنعه عن تكوين الصورة المنطبعة عليه لهذا الشخص أو غيره ولهذا الشيء وما عداه وان كل هذا وذلك ناتج عن « الملل » الذى يتحكم به ويستحوذ عليه

ويزيد فى تصوير هذه المآخذ والمطاعن اذ يجري على لسان « القائلة » المحاورة ما تبعثه شقة التباين البعيدة بين الافراط فى الركـون والدعـة ، والتطامن ، وبـين المأثور عنـه من افـراط فى العنف ،

وأنتَ تنشد الدنيا

منزلةً على فكرك

والمجازفة، والمخاطرة ، لحد ان ذلك ينقض هذا، ولحد ان«العين» لتكاد تنبو عنه وهو « يتطامن » لدرجة « الخور » والاستسلام ، اذ هو يجمع الى ذلك ثورة فى الغضب وسورة فى التمرد ، حتى لتكاد « النار » تخاف من « شررهما »

واذ يستكمل الشاعر هذه الانطلاقة من « الحوار » واذ يجرى على لسان المحاور ما هو مأثور عنه من حالات متخالفة ، متباينة يعود - وعلى لسانها أيضا - ليعرض الحال الراهنة التي تجده عليها - محاورته - فى الوقت الحاضر والتى تتخالف مع كل الحالات المأثورة عنه فى الصورة السابقة من انسجام مع نفسه ، ومع الالوان المنبعثة عنها وانه رضي البال فى « حله » وفى « سفره » ، وانه وهو فيما يبدو وكأنه سقر من وحشة الغربة « يغني الخلد مرتفقا » ، وانه وهو فى « وبر » من خشونة العيش يهدي الناس « الخز » الناعم من أشعاره وأغانيه وانه وهو على مثل وخز « الابر » من آلامه ، يسقيهم الشهد الحلو منها

وانه و « ثليج الشيب » فى الشعر يغمر هامته • يبدو فى الصبابة من لواعجه وكأنه فى حرارة الصبا ، وجمرة الشباب

وان شفيف الغيم من كدره ليبدو وكأنه « الطف من سنا الصحو » فيما ينعكس بنعومة ورقة على قوافيه المرحة

وينهي « القائلة » حوارها هذا بتعجبها من هذا التشابه و « التساوى » فى حجوله وهو فى هذه المرحلة من العمر ومن الغربة، ومن الالم مع أوضاحه وهو فى غرارة شبابه ومرحه وطمأنينته •

ثم يجيء دور الشاعر نفسه ليجيب على تساؤلات نفسه أيضا - على لسان المحاور المفترض - وليقول لها ان كل ذلك نتيجة منطقية ، ورياضية ، لتبدل المجتمعات ، ولاختلاف البيئات ، ولاثرها فى تبدل الطبائع ، وانتقال النفوس من حال الى حال •

وأطبـــاعَ الـوردى حُلَــــلاً

موشّـــاةً عـــلى قـــدرك

ملـولُ النفس .. في سمعك

رجّـــاتٌ .. وفي بصـــرك

وأنّك في التطـامُنِ تنقض

المـأثـــور عـــن خطـــرك

تخـاف « النار » من شـررك

وتنبـو العـينُ عـن خـِو رك

وتُعيـي الفكـر مـرقـاتـك

ان قيســـت بمُنحـــدَرك

جـرى مثـلٌ بمُصطبـــرك

وآخـــرُ ســـار في بطـــرك

وهـــذا أنـت منسـجـــمٌ

مـــع الألـوان في صـــورِك

وينعطف اليها ليقول

هلمي خالطي بشري تفـري أنت من بشـرك

رضيُّ البال في حِلِّك

حلوُ السجعِ في سَفَرِك

تُغنّى الخلد مرتفقاً

وأنت تُخالُ في سقرك

وتُهدى « الخزّ » من وبرك

وتسقى الشهد من أبرِك

أحر من الصبا وهجاً

ثليجُ الشيب في شعرِك

والطف من سنى صفوٍ

شفيف الغيمِ من كدرك

فسبحان الذي سوّى

حجولك ملتقى غررك

* * *

أقول لها وهل وطَري

فُديتِ ـ ينال من وطرك ؟

أوِردكِ كان عن صدري ؟

اوردي كان عن صَدَرك ؟

انفعك كان من ضرري ؟

أنفعي كان من ضررك ؟

أأ ما كنتِ من نظري ؟

أأِمّا كنتُ من نظرك ؟

ألم تكُ صورة أُخرى

مواسطةٌ بمقتدرك ؟

هبيكِ البحرَ تيارُكِ

مشدودٌ بمُنحَسرِك

أليس له « كواسجُه » ؟

اليس به سوى دررك ؟

فديتكِ انني فيما

أُبدّل غير منتظرك

مشيتُ على خُطى عِبرَي

فظلّى أنتِ في عِبرك

أذنبـــــي أنّ مُختَبَـرى

هـدانـي غـير مُختَبَـرك ؟

وأنّــي عشـــتُ مجتمعـــاً

أمنــتُ بـه ٠٠ على حـذرك ؟

لقـــد نقّلتُ مـن نظـري

فجـــاء بغـــير مـا نظـرك

هلمّـــي خالطـي بَشَـري

تفـرّي أنتِ مـن بشـرك !!

بريد الغربة ...

نظمت عام ١٩٦٥ .. وقد ارسلهـا الشاعر من « براغ » الى عائلته ببغداد ، وقد كانت عائلته اليها من جيكوسلوفاكيا لأول مرة ، بعـد غربة طالت أعواماً

لقـد أسرى بي الأجلُ   وطـول مسـيرةٍ مَلـل
وطول مسيرةٍ من دون غاي مطمـــع" خَجِـــل
عـلى انى ـ لأن يُنهي   غد"طول السرى ـ وجِل
تمـاهـل خشيةً ونىً   وعُقبى مهلـه عجـــل
وقُطّع خطوُهُ جنفــاً   كما يتقاصرُ الحَجـل
أشاع اليأس بى عمرٌ"   وكنتُ وكلُـهُ أمـل
وعمرُ المرءِ فضلُ منىً   بهـا ما شَق يُحتَمَل
فان ولّت فـلا ثقــة"   ولا حـول ولا قِبـل

* * *

أقـول وربمـا قـولٍ   يـدَلُ بـه ويبتهـِل
ألا هل تُرجِـعُ الاحـلام مـا كحُلت بـه المُقـل
وهل ينجابُ عن عيني   ليـل" مطبــق" أزَلُ
كأن نجومَه الاحجـار   في الشطـرنج تنتقـــل
يلاحق بعضـهـا بعضـاً   فمـــا تنفـكُ تقتتـل
ألا هل قاطع" يصــل   لمـا عيَّت به الرُسُـل

* * *

ويـا أحبـابي الأغلــين   من قطعـوا ومَن وصـلوا

ومن هم نُخبةُ اللذّاتِ عندي حين تنتخل

هُمُ إذ كلُ مَن صافيتُ مدخولٌ ومُنتَحَل

سلاماً كلُهُ قُبل كأن صميمها شُعَل

وشوقاً من غريبِ الدارِ أعيت دونهُ السُبُلُ

مقيمٍ حيثُ يضطرب المنى والسعيُ والفشل

وحيث يعارك البلوى فتلويهِ ويعتدل

وحيث أديمُهُ يَبَسٌ وحيث جنانُه خَضِل

واذ نَضُبَتْ أفاويقُ الصبا فهِباتُها وشَل

* * *

سلاماً من أخي دنفٍ تَناهت عنده العِلل

وحيدٍ غيرَ ما شَجنٍ بلوحِ الصدرِ يعتمل

وذكرى مرّةٍ حلِيت بها أيامُهُ الأُول

تُعاودُه كفيء الظلِ رؤياها وتنتقل

وحيدٍ بالذي غنّى وساقي يُضرب المثل

وفيما قال من حَسنٍ وسيءٍ يكثرُ الجدل

* * *

سلامـاً أيّهـا الثاوونَ إنّي مُزمِـعٌ عَجِـل
سـلاماً أيّهـا الخالون إنَّ هـواكُمُ شُغُـلُ
سـلاماً أيُّهـا الندمـانُ إني شـاربٌ ثمِـل
سـلاماً أيّهـا الأحباب إنَّ محبـةً أمـل
سـلاماً كلُـهُ قُبـلُ كأنَّ صميمَها شُعَـل

١٩٦٩/٥٠٠٠/٨٩

الثمن ٣٠٠ فلس

طبع الغلاف في مؤسسة رمزي - بغداد - تلفون ٣٨٠٥١